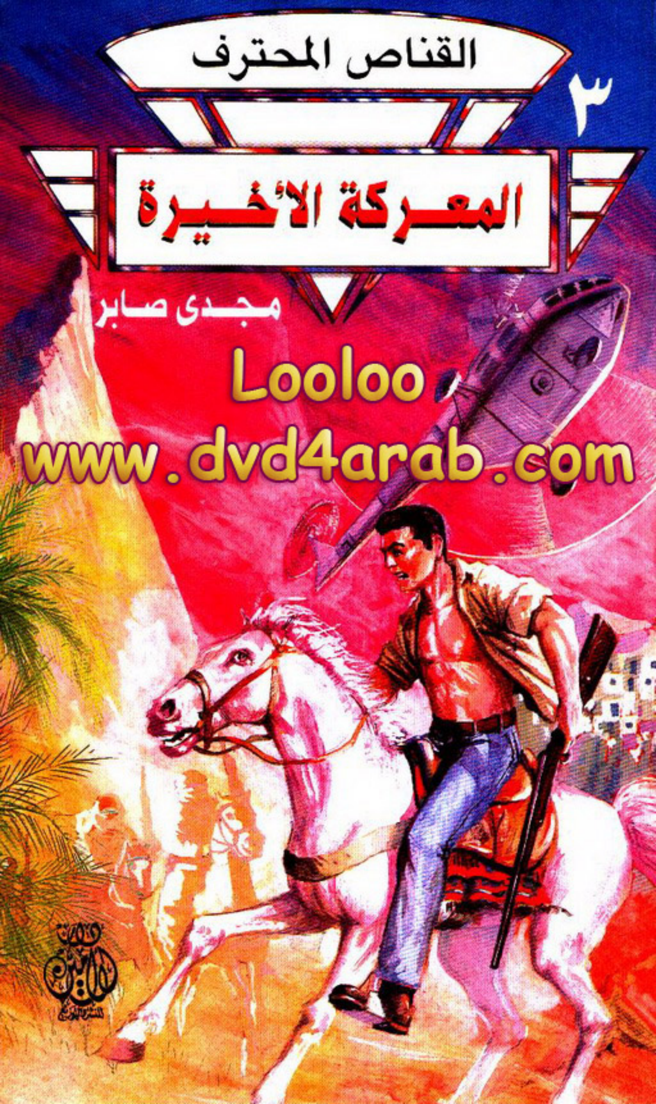

القناص المحترف
٣
المعركة الأخيرة
مجدى صابر
Looloo
www.dvd4arab.com

طراز خاص من المقاتلين ..
ورجل مخابرات لا مثيل له .
إنه (القناص المحترف) ..

فقط اقرأ لكى تندهش وتتمتع بمغامرات بطل من طراز فريد . وأحداث مثيرة لاهثة مذهلة . ومقاتل لا شبيه له .. لا يعرف اليأس أبداً .. ولا الهزيمة ..

بطل ستقرأ مغامراته وبطولاته فى كتاب مميز - أيضا - ، لا شبيه له فى أى مكان .

مجدى صابر

مهمة .. فى منتصف الليل

أوقف « مراد » سيارته الأنيقة إلى جوار مدخل منزله ، وألقى ببصره بعيداً تجـاه الأنوار المتلألئة لمدينة « القاهرة » . كان المشهد بديعاً من فوق قمة « جبـل المقطم » كأنـه بانوراما لنجـوم مضـيئة انتثرت على البعد بامتداد البصر ، وكان السكون يحيط بالمكان ؛ ولكن كان سكوناً خادعاً أشبه بالسكون الذى يسبق العاصفة . أحس (القناص) بذلك من قبل أن يتجه داخلاً لمنزله .

كان ثمة إحساس بالخطر بداخله . خطر لا يدرى

طبيعته ؛ ولكنها حاسته السادسة التى تيقظت فجاة ، وغمره شعور بان شخصاً قد اقتحم منزله فى غيابه ، وربما كان ذلك الشخص ينتظره فى ركن منه حاملاً مسدساً سريع الطلقات ليفرغه فيه ، أو ربما سكيناً ذات نصل مرهف ليعاجله بها فى مقتل . توقفت يد « مراد » فوق باب منزله عندما مر ذلك الخاطر فى فى ذهنه . كان من الحماقة دخول المنزل من بابه بالرغم من عدم وجود دليل على وجود ذلك المقتحم .. لم تكن هناك آثار أقدام ، ولا سيارة قريبة ، ولا رائحة مميزة ، ولا ثمة ضوء خافت أو صوت واهن داخل منزله .. لم يكن هناك دليل على الإطلاق !

لكن منذ متى كان المحترفون يتركون مثل تلك الأشياء تكشف وجودهم ؟ بل ربما كان عدم وجود دليل ، هو الدليل ذاته !

ودار (مراد) حول المنزل فى سكون .. لم يكن يحمل سلاحاً ، فلم يعتد أن يحمل سلاحاً فى غير أوقات العمل ، ولكنه كان يمتلك قبضته الساحقة ، وسرعته البالغة فى احتواء أى فعل ، وقدرته الفائقة فى مواجهة أى مأزق ، وكان فى ذلك الكفاية !

ولم يشأ (القناص) الدخول من الباب الخلفى .. وكانت أقرب نافذة تعلو الأرض بأكثر



لم يشأ (القناص) الدخول من الباب الخلفى ، وكانت أقرب نافذة تعلو الأرض بأكثر من ثلاثة أمتار .

من ثلاثة أمتار ، وقفز (القناص) تجاهها فى مهارة بالغة وتعلق بأفريزها ، وتشبث بمكانه بيده اليسرى ، وباليمنى عالج ألواح النافذة الخشبية فى مهارة فأزاح بعضاً من رياش أخشابها .. كان قد جهزها من قبل لمثل تلك الظروف بحيث يسهل انتزاعها من الخارج ، فما كان لشىء ما أن يأخذ « مراد عزمى » على حين غُرة .

وانفتحت النـــافذة ، وفى رشاقة الفهد وخفـة النمر قفز إلى داخل حجرة المطبخ .

لم يكن هناك صوت ما بالداخل ؛ لكن شعلة موقد البوتاجاز كانت دافئة تشى بأن هناك من استخدمها ، فيا له من متسلل استباح المنزل بما فيه !!

تأكد ظن (القناص) .. وتحرك فى حذر مغادراً باب المطبخ .. كان ثمة ضوء خافت فى حجرة مكتبه ضوء « الأباجورة » صغير .. وخطا « مراد » فى خفة وقد استعدت كل خلية فى جسده للانقضاض على المتسلل .. كانت المفاجأة فى صالحه دون شك .. فى لحظة قفز (القناص) نحو باب الحجرة هاتفاً فى صوت قاس : مرحباً بك أيها المتسلل ..

ولم يكمل عبارته بل بترها فجأة ، فقد استدار

الشخص الجالس إلى مقعد مكتبه وظهره له وهو يقول :

لم تتأخر كثيراً فى العودة كما قدّرت يا عزيزى !

لـم يكن ذلك الشخص سـوى السـيد « فخرى سيف » .. رئيسه المباشر !

ابتلع (القناص) دهشته وغمغم قائلاً : أنت يا سيدى !!

نهض (فخرى) واقفاً وابتسامة عريضة تكسو ملامحه وقال : كما توقعت تماماً .. لم تدخل المنزل من بابه .. فهل استخدمت نافذة حجرة المطبخ أم النوم ! ؟

أجابه (القناص) ، ونظرة مندهشة لا تـزال مستقرة فى عينيه :

- نافذة المطبخ يا سيدى .

- بالرغم من أننى لم أترك أى أثر يدل على وجودى بداخل المنزل .

- إنها الحاسة السادسة يا سيدى .

- رائع أيها (القناص) .. كما توقعت تماماً .

زوى (مراد) ما بين حاجبيه فى تساؤل قائلاً :

إنك تكرر عبارة كما توقعت كثيراً . فهل كان ذلك اختيار من نوع ما ! ؟

تلاعبت ابتسامة فوق شفتى (فخرى) وغمغم مراوغاً :

- ربما .. ولكنك نجحت بدرجة امتياز .

بدأ شىء من التوتر فى لهجة (مراد) وهو يقول :

الا تزال تشك فى أننى لم أسترد كامل لياقتى الذهنية والبدنية ؟

تجاهل مدير العمليات السرية السؤال المطروح ، وتناول فنجان قهوة دافىء أمامه ، ارتشف منه رشفة قصيرة قبل أن يقول (للقناص) :

لقد اعتبرت نفسى فى بيتى ، ولم أشأ أن أستدعيك إلى مكتبى فى هذا الوقت المتأخر .. فرأيت أن أقوم بزيارة خاصة لك .

أجابه (القناص) فى لهجة لا تخلو من لوم :

لو كنت أعلم بوجودك فى انتظارى لأنهيت تدريبات اللياقة البدنية والرماية سريعاً .

تجاهل (فخرى) لهجة (القناص) ، وتأمل الحجرة حوله قائلاً :

لقد سبقتك فى الوصول منذ عشر دقائق فقط ، ورأيت أن أقطع الوقت فى القراءة . إنك تملك مكتبة رائعة . وقع بصر (مراد) على الكتاب الذى كان رئيسه يتصفحه فوق مكتبه .. كان جزءاً من موسوعة عن الحرب العالمية الثانية .

قال (فخرى) ، وهو يعيد الكتاب إلى مكانه فى عناية :

هل طالعت كل هذه الكتب فوق رفوف المكتبة ؟

- بالطبع يا سيدى .

- وهذه الموسوعة بالذات عن الحرب العالمية الثانية .. كم مرة قرأتها ؟

- ربما مرتان .

كان السؤال غريباً .. وتساءل (مراد عزمى) إن كان رئيسه قد تكبد كل تلك المشقة فى منتصف الليل ليسأله عن مكتبته ، وما قرأه فيها ؟

وتجاهل (فخرى) نظرة التساؤل المطلة من عينى (مراد) ، وأضاف وهو يرمقه بعينين متفرستين :

إن الحروب حاملة بالأسرار دائماً ، والموسوعات لا تذكر عنها كل شىء ، فهناك أسرار

تظل فى طى الكتمان إلى أن يحين الوقت المناسب لإذاعتها ـ عمداً ـ أو مصادفة .

ـ وهل لزيارتك المتأخرة يا سيدى .. علاقة ما بحرب مر عليها ما يزيد عن نصف قرن ؟ .

ـ بالتأكيد .

نطقها الرئيس فى لهجة قاطعة .. وهو لا يزال يتفرس فى (القناص) ، وأكمل فى لهجة غامضة : لعله قد حان الأوان لكشف أحد أسرار هذه الحرب .

ـ وهل سيفيد كشف هذا السر الآن بعد كل هذا الوقت ؟

ـ إنه سر يساوى نصف مليار جنيه .. أفلا يستحق بعض الجهد لكشف غموضه وألغازه ؟

ـ إننى مُصغ إليك تماماً يا سيدى .

ارتشف السيد (فخرى) رشفة أُخرى من فنجانه ، وعاد إلى مقعده خلف مكتب (القناص) ، وبدا كأنه يرتب أفكاره قبل أن يقول :

لا شك أنك تذكر جيداً كيف اقتربت قوات النازى بقيادة « روميل » ثعلب الصحراء من الحدود المصرية ، وهددتها بقوات وجحافل رهيبة ، حتى إن القوات البريطانية بقيادة « مونتجمرى » ..

فكرت فى الانسحاب من مصر والهرب ، وقامت بتجميع كل قواتها وعتادها ، وفى اللحظة الأخيرة .. دارت معركة فاصلة بين الجيشين .. الحلفاء ودول المحور فى « العلمين » .. وكانت الموقعة الطاحنة بينهما ، ومقبرة الدبابات والمدرعات التى انتهت نهاية غير متوقعة بهزيمة الألمان وحلفائهم ، وانسحاب «روميل» عائداً إلى « ليبيا » مرة أخرى بفلول قواته ؛ مما غيّر من مسار الحرب العالمية الثانية لصالح قوات الحلفاء .

أجابه (القناص) فى لهجة مهذبة :

هذا تاريخ معروف تماماً يا سيدى حتى لتلاميذ المدارس الإعدادية .

أشعل السيد « فخرى سيف » سيجاره الرفيع ذى الرائحة المميزة ـ وتراجع بظهره للوراء فى جلسته وهو يقول :

ولكن ما هو ليس معروفاً للكثيرين ، وحتى ما تجاهلته كتب التاريخ هو أنه على الجانب الآخر ، كانت تدور معركة فى حرب الدهاء بين الفريقين .. أقصد بين جهازى المخابرات : الألمانى ، والإنجليزى !

وأدرك (مراد) أنه لن يحصل على إجابة مباشرة من رئيسه تبرر زيارته الليلية الغامضة ، فاتخذ مقعداً أمامه وهو يقول :

ـ من طبيعة الحروب .. أن يكون للمخابرات دور كبير فى إدارتها .

ابتسم (فخرى) ، وكأنه مستمتع بذلك الحوار إلى أقصى حد قائلاً :

ـ هذا صحيح ؛ ولكن هذه المعركة دارت بهدف الاستيلاء على ما قيمته ثلاثين مليون جنيه من الذهب .. وهو ما يساوى الآن أكثر من نصف مليار جنيه ذهباً .

ضاقت عينا (مراد) وهو يقول :

لم أقرأ عن هذه المعركة أبداً يا سيدى .

أجابه (فخرى) على الفور :

ـ أنا أيضاً لم أكن أدرى عنها شيئاً .. قبل أن أتلقى ذلك التقرير قبل ساعات قليلة !

بدت لهجة السيد (فخرى) خطيرة تشى بأن ما سيتحدث به على قدر كبير من الأهمية .. وكأن الماضى قد انبعث فجأة بعد كل تلك السنين بخيره وشره .. وكأن معارك الحرب العالمية الثانية لم

تنته .. ولا تزال هناك معركة أخيرة توشك أن تتفجر حممها .

بدأ الاهتمام على (مراد) ، وتساءل فى صوت عميق :

ـ هل يمكنك أن تفسر لى الأمر يا سيدى ؟

ـ بكل تأكيد !

قالها (فخرى) ، واحتسى ما تبقى من فنجانه وأكمل :

كانت القوات البريطانية كما أخبرتك تستعد للرحيل عن مصر .. وكان فى حوزتها فى هذا الوقت كما ذكرت لك ما يزيد عن ثلاثين مليون جنيه مصرى ذهباً ، وكان من المفترض أن تحصل مصر على هذا الذهب ثمناً لما قدمته من خدمات لإنجلترا ، أو الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية ؛ ولكن وبعد التهديد الألمانى صار للقيادة الإنجليزية رأى آخر بشأن هذا الذهب .

ـ لقد امتنعوا عن سداده للحكومة المصرية وقتها .. أليس كذلك ؟

ـ بل وبادروا إلى تهريبه أيضاً .. خشية سقوطه فى أيدى الألمان إذا ما احتلوا (القاهرة) .

ـ وهل قاموا بإعادته إلى إنجلترا ؟

اطلق (فخرى) زفرة عميقة ُمشبعة بدخان سيجاره ، وهو يقول :

ـ لقد خشوا أن يرسلوه بطريق البحـر فتسقط السفينة التى تحمله فى أيدى غواصات النازى ، أو أن يرسلوه بالطائرة فيحدث نفس الشىء ، خاصة أن قوات النازى كانت لها عيون ، وجواسيس تراقب ذلك الذهب فى أى طـريق سيسـلكه الإنجليـز فى تهريبه ؛ وبذلك لم يبق سوى الطريق البرى برغم خطورته الشديدة ·

والتمعت عينا (فخرى) ، وهو يقول مضيفاً :
وقد كان من عادة الإنجليز المخاطرة ·· وقـد خاطروا بالفعل ·

زم (القناص) شفتيه لحظة قبل أن يقول :
دعنى ُأخمّن يا سيدى الطـريق الذى سـلكه الذهب ·

تساءل (فخرى) فى مكر وكأنه مستمتع بالسؤال إلى أقصى حد :

ـ هل يمكنك التخمين حقاً ؟

وتلاقت عينا (القناص) مع رئيسه ·· لم يكن السؤال مجرد سؤال عـادى ؛ بل كان أقـرب إلى الاختبار · كان اختباراً للذكاء ، والدهاء · اختبار

لرجل مخابرات محترف ، وتساءل (القناص) : لو كان فى نفس الموقف فأى اتجـاه كان سـيختاره لتهريب الذهب ؟ ·· وقد كانت المخابرات الإنجليزية وقتها أقوى أجهزة المخابرات فى العالم ·· ولم تكن المخابرات الأمريكية قد صارت إلى ما هى عليـه من قوة وفاعلية ؛ بل كانت لا تزال تحبو فى ذلك الوقت ، وكانت المخابرات الروسية على نفس الشاكلة لا تزال تتحسس ُخطاها فى دنيا المخابرات !

كانت حرب المخابـرات قاصرة عـلى الإنجليز والألمان فقط ·· فأى الطرق كان سيسلكها رجـال المخابرات الإنجليز ، إذا ما فكروا فى إخفاء ذلك الذهب وتهريبه ! ؟

وغمغم (القناص) قائلاً :

لو كنت مكان رجـال المخابـرات الإنجليزيـة ، لسلكتُ بالذهب آخـر طـريق يتوقع العـدو منى استخدامه عبر الأراضى الليبية التى كانوا يحتلوا أغلبها يا سيدى ·

هب السيد (فخرى) واقفاً فى إعجاب لم يقدر على كتمانه هاتفاً :

ـ رائع أيها (القناص) ··

وأكمل بعينين تشعان وميضاً : هذا هو ما فعله

الإنجليز بالفعل ، فقد جهزوا قافلة عسكرية حملت الذهب فى شاحنة كبيرة .. واخترقت الحدود الليبية .. بغرض تهريب الذهب من هناك بالبحر بواسطة غواصة كانت تنتظر فى آخر نقطة على الحدود الليبية بالقرب من مدينة « بوكماش » ، وبالطبع كان لابد وأن يتظاهر ضباط هذه القافلة بأنهم ألمان ، لكى يتسنى لهم دخول « ليبيا » الواقعة تحت قبضة دول المحور فى ذلك الوقت ، وكان ذلك أمراً ميسوراً برغم صعوبته ، فقد كان لدى الإنجليز الكثير من الضباط ممن يتحدثون الألمانية كأهلها ، كما كانت الفوضى تعم الجيش الألمانى ، والإيطالى بعد الهزيمة فى « العلَمين » ، وهكذا سارت الخطة واجتازت القافلة الحدود « الليبية » دون مشاكل .

– وهل وصل الذهب إلى محطته الأخيرة ؟

– لا للأسف الشديد .. أو ربما لحسن الحظ .

– هل انكشف أمر الذهب ؟

– هذا هو ما حدث لخطأ ارتكبه أحد ضباط القافلة الإنجليز أمام أحد البدو ، فكان أن تنبه الألمان للخدعة وسارعوا بمطاردة القافلة ، فلم يجد قائد القافلة من أمل أمامه سوى تغيير خط

سيره ، فغامر بدخول الصحراء بدلاً من الاتجاه إلى البحر .

قال (القناص) فى إهتمام :

– لا شك أنه أراد بلوغ (تونس) أو (الجزائر) .. ليجد القوات الحليفة فى انتظاره .

أومأ (فخرى) برأسه مجيباً بنعم ، وهو يقول :

هذا هو ما فكر فيه ذلك الضابط النابه الكولونيل « جورج دوبلى » أفضل رجال المخابرات الإنجليزية فى (مصر) وقتها ؛ ولكن القوات الإيطالية والألمانية شرعت فى مطاردته بلا هوادة – وأخيراً – عثرت هذه القوات على القافلة بالقرب من الحدود الليبية الجزائرية التونسية المشتركة .

– وهل استعادوا الذهب وقبضوا على الكولونيل « جورج » ورجاله ؟

بل عثروا على ضباط الكولونيل موتى .. وقد قتلهم الجوع والعطش ، بعد أن ضلوا طريقهم فى الصحراء ؛ وظلوا بلا طعام ، وشراب أياماً طويلة . أما الكولونيل فلم يعثر عليه أحد أبداً .. وهذا هو ما حدث للذهب أيضاً .. فقد وجدوا الشاحنة خالية منه ..

بدت القصة بالغة الإثارة بالنسبة (لمراد) ، فقال فى لهجة لا تخلو من إهتمام بالغ :

إذن فقد هرب الكولونيل بالذهب ٠٠ أو أخفاه فى مكان مـا ؟

نقر السيد (فخرى) فوق حافة المكتب بأطراف أصابعه مجيباً :

إن الاحتمال الثانى ٠٠ هو الأقرب للمنطق ، فما كان باستطاعة الكولونيل تهريب الـذهب إلى تونس ، أو الجزائر ، ولا شك أنه عندما أحس بقرب نهاية رجاله جوعاً وعطشاً ، أمرهم بإخفاء الذهب فى مكان ما فى قلب الصحراء ٠٠ وعندما مات رجاله واحداً بعد الآخر بادر بالهرب عبر الصحراء ٠٠ حيث اختفى بعدها سنوات طويلة انقطعت فيهـا أخباره ٠٠ وعندما عاد إلى انجلترا ذات يوم بعـد انتهاء الحرب بسنوات ، اكتشف ضباط المخابرات الإنجليز أن الجنرال العائد فقد ذاكرته ، وأنه لا يذكر المكان الذى تم إخفاء الذهب فيه ، وأنه عاش تلك السنين فى الصحراء فى إحدى الواحات قبل أن يعود لانجلترا ٠٠ وهكذا ضاع الذهب ، أو اختفى كل تلك السنين ٠

غمغم (القناص) قائلاً :

- يا لها من قصة مثيرة ٠٠ إنها أشبه بفيلم بوليسى من اخراج هيتشكوك !

فرك السيد (فخرى) كفيه فى مرح مضيفاً :

وهكذا بعد أن ظن الجميع أن ستار النهاية قد أُسدل ؛ إذ بالأحداث تتلاحق وتتوالى ٠

ادرك (القناص) أن اللحظة الحاسمة قد دنت فتساءل :

هل اكتشف الإنجليز مكان الذهب ؟

أومأ الرئيس برأسه مُجيباً :

هذا هو ما يبدو أنه قد حدث ؛ ولكن يبدو أن من يحاولون العثور على الذهب الآن يفعلون ذلك بصفة شخصية ٠٠ ودون علم الحكومة الانجليزية ٠٠ حتى يكون الكنز ملكاً لهم فى حالة عثورهم عليه ٠

وتراجع السيد (فخرى) بمقعده للخلف ، وهو يواصل قائلاً :

فمنذ أيام قليلة لفت انتباهنا وصول ثلاث رجال مخابرات إلى (مصر) ٠٠ وظلوا بها ثلاثة أيام ، ثم غادروها إلى (تونس) ٠

أولهم ألمانى يدعى (مايكل أدولف) ٠٠ وكان ضابط بالمخابرات الألمانية قبل أن يُحال للاستيداع ، ويعمل كمرتزق لحساب من يدفع أكثر ٠٠ وهو مشهور

بذكائه الشديد ، حتى إنهم يطلقون عليه اسم (الذئب) .

وثانيهما ضابط مخابرات روسى يُلقّب بالسفاح .. وقد طُرِدَ من المخابرات الروسية بعد تفكك الاتحاد السوفيتى بسبب ما تكشف من جرائمه الوحشية ، وهو يُدعى (إيفان بافلوفتش) .

أما الضابط الثالث ، فهو لا يزال فى خدمة المخابرات الإنجليزية وهو الجنرال (تشارلز جورج دولبى) .

غمغم (القناص) قائلاً :

إنه ابن الكولونيل الذى كان مسئولاً عن تهريب الذهب .

تساءل (فخرى) بدوره فى إهتمام بالغ :

ـ ألا يوحى لك ذلك بشىء ؟

أجابه (القناص) :

ـ لقد جاء الجنرال (تشارلز) للبحث عن الذهب مع الآخرين .. ولا شك أنه صار لديه معلومات عن الذهب المخبوء ، وإلا ما جاء يسعى إليه ، فهو لن يهدر وقته فى بحث شاق بلا دليل بعد كل تلك السنين .

هتف (فخرى) :

ـ هذا هو ما فكرنا فيه بالضبط .. لقد مات الكولونيل (جورج دولبى) منذ سنوات بعيدة ؛ ولكن لعله ذكر لابنه مكان الذهب ، أو ترك مذكرات تفيد بمكانه بعد أن عادت إليه ذاكرته .. وأيا كان الأمر فقد جاء من يسعى وراء هذا الذهب .. وهو لا يستحقه .

ـ إن هذا الذهب من حقنا يا سيدى ، وهو ثمن خدمات حكومتنا للإنجليز قبل نصف قرن أو أكثر :

ـ تماماً .. ولهذا رأينا أن نتدخل فى الأمر ، فهذا الذهب لن يحصل عليه أحد سوانا .

ونهض (فخرى) من مقعده ، وأطفأ سيجاره فى المنفضة أمامه ، وحدّق فى (مراد) بنظرة عميقة وهو يقول :

ولهذا جئت أطلب إليك العمل .. فسوف تسافر إلى (تونس) بصفتك مراسل صحفى تقوم بعمل دراسة عن حياة البدو ، وطرق التجارة القديمة بالقرب من واحة (غدامس) على الحدود الليبية والتونسية الجزائرية .

تساءل (القناص) فى إهتمام متضاعف :

ـ ١-، كانت (غدامس) هى محطة الوصول

الأخيرة لهذا الفريق من المرتزقة ورجال المخابرات ؟

ـ بالضبط .. والذى لا شك فيه أن الذهب ربما كان مخبوءاً فى (غدامس) أو بالقرب منها ، فقد كان عثور الألمان على قافلة الكولونيل (جورج دولبى) على مسافة كيلو مترات قليلة من (غدامس) التى اختفى فيها سنوات فقده لذاكرته .

ادرك (القناص) أنه ليس هناك وقت للضياع ، فهب واقفاً بدوره وهو يقول :

إننى مستعد للسفر حالاً يا سيدى .

أخرج السيد (فخرى) من جيبه كتاباً صغيراً بالإنجليزية مده إلى (القناص) قائلاً :

ـ اقرأ هذا الكتاب ، فسوف يفيدك فى مهمتك ، فهو عن واحة (غدامس) وسكانها من الطوارق ، وعاداتهم ، وطرق معيشتهم .. فلا شك أنك ستكون فى حاجة لأدق التفاصيل عن تلك الواحة فى مهمتك .

تناول (القناص) الكتاب ، وألقى نظرة على غلافه قبل أن يدسه فى جيبه قائلاً :

ـ ومتى سيكون السفر يا سيدى ؟

تنهد السيد (فخرى) ، وهو يجيبه :

ـ كالمعتاد أيها البطل ، فلا وقت هناك للضياع ،

فهناك مقعد محجوز لك على أول طائرة مغادرة إلى (تونس) ، ومنها ستعبر الحدود الجنوبية إلى (غدامس) بالطريق البرى .

ومد السيد (فخرى) جواز السفر والتذكرة إلى (القناص) بداخل مظروف يحتوى على صور لرجال المخابرات الثلاث ، وأردف بقوله :

ـ خُذ حذرك أيها (القناص) ، فالصراع هذه المرة ضد ثلاثة من أشرس رجال المخابرات فى العالم ، وأكثرهم دموية .. وكل منهم على استعداد لقتل كل عائلته فى مقابل قبضة من الذهب ، فما بالك بنصف مليار من الجنيهات ذهباً !!

وأشعل (فخرى) سيجاراً وهو يراقب (القناص) الذى ظل على صمته ، وواصل فى لهجة عميقة محذرة :

ـ كنت أظن أن معارك الحرب العالمية الثانية قد ولت ؛ ولكنى على يقين أنه لا تزال هناك معركة أخيرة مؤجلة منذ نصف قرن أو أكثر .. معركة ستدور رحاها فوق تلك الواحة (غدامس) وستخوضها أيها البطل وحدك فى مواجهة أسوأ قطيع من الذئاب البشرية فى العالم .. فهل أنت على استعداد لخوض هذه المعركة الأخيرة ؟

لم ينطق (القناص) بشىء والتمعت عيناه بقوة ؛ فما كان ليخشى الخطر مهما كان ؛ بل كان يسعى إليه ليقتنصه اقتناصاً ، وما كان ليرهب أشد الأخطار أو أعتى الرجال !

وكان لتساؤل رئيسه وقع آخر فى أذنيه ، فقد جعله يتقد حماساً ، والتهبت رغبته فى المغامرة إلى حد الاشتعال ، وغمغم (القناص) انفسه : لقد بدأت المعركة الأخيرة ولن يثنينى شىء عن الفوز بها أبداً !

كان يكفى (القناص) أنه سيخوض تلك المعركة باسم وطنه ..

وكل المخاطر تهون فى سبيل ذلك !!

* * *

الفصل الثانى

فريق .. للقتل

كانت الرحلة شاقة فى قلب الصحراء .. فبعد الوصول إلى « تونس » كان على (القناص) القيام برحلة أخرى بالهليكوبتر إلى مدينة « حصن سان » فى أقصى جنوب « تونس » ، وبعدها كانت هناك رحلة أخرى بسيارة جيب (لاندروفر) لمسافة كبيرة فى قلب الصحراء ، والكثبان الرملية إلى واحة « غدامس » ، وعندما وصلها (القناص) ظهراً ، أوقف سيارته (اللاندروفر) قريباً ، ووقف يتأمل الواحة .. فبعد ساعات من السفر فى قلب اللون الأصفر ، والكثبان الرملية .. تبدت له

الواحة فى منظرها الفريد وكأنها لوحة رائعة من صنع العلى القدير ..

كانت الأشجار الخضراء فى كل مكان تحيط بسور حجرى بارتفاع ثلاثة أمتار يحيط بالواحة إحاطة السوار بالمعصم .. وقد ظهرت بيوت الواحة المشيدة من الطين ، أو الحجارة ، لا يزيد ارتفاع أعلاها عن طابقين .. وقد ظلت على حالها لم يتغير فيها شىء عما كانت عليه قبل مئات السنين ، عندما كانت رحلات التجار تقطعها بالجمال فى طريقهم إلى « تونس » ، أو « طرابلس » شمالاً وشرقاً ، أو إلى قلب افريقيا جنوباً .

وكان سكان الواحة من (الطوارق) خبراء بحق فى الصحراء ، ويشتهرون بالشكيمة القوية ، ويشتهرون أكثر بأن الرجال فيهم هم من يضعون لثاماً على وجوههم لا يبين منهم سوى عيونهم ، أما الأنف والفم فمغطى باللثام ، ويستحيل على (الطوارقى) كشفه وإلا صارت تلك إهانة لا تُغتفر .. ومن يفعل ذلك بطوارقى يكون مصيره الموت .. وكان أغرب ما تشتهر به الواحة هو آبارها ، وينابيعها التى تتدفق منها المياه ، والتى شقّ لها سكان الواحة أنفاقاً متسعة تجرى فيها المياه إلى داخل بيوت

الواحة .. وأعجب ما فى تلك الأنفاق أنها مغطاة وتجرى تحت سطح الأرض ؛ لكى لا تتبخر بسبب شدة أشعة الشمس ، وأن كل منها يتسع لمرور شخص بالغ .

قرأ (القناص) الكثير عن الواحة .. وصار خبيراً بها .. ووعت ذاكرته كثير من كلمات اللغة (التارجية) التى يتحدثها أهلها ، والتى طالعها فى الكتاب الذى منحه له رئيسه قبل السفر ، وكذلك خرائط الأنفاق المائية داخل الواحة وخارجها ، التى كانت تشكل ما يشبه شبكة الصرف الصحى !

كان من المستحيل على (مراد) قيادة سيارته داخل الواحة لضيق شوارعها ، وطرقاتها التى ما كانت تتسع إلا لمرور جمل براكبه .. وهى وسيلة الانتقال الوحيدة داخل الواحة المتسعة التى تنتمى للماضى البعيد أكثر مما تنتمى للحاضر القريب !

وكان شكل المنازل غريباً ذا طرز خاص .. وقد غُطيت شوارع الواحة ، وطرقاتها ، وأسواقها بسقوف من القماش تقى سكانها من الشمس الملتهبة ، والحرارة الشديدة .. وكان ظهور شخص بوجه بلا لثام كفيل باجتذاب الأنظار إليه ، فطالعت (مراد) العيون الفضولية من كل مكان ، وشاهد (القناص)

منزلاً حجريا فوقه لوحة عليها كلمة (خان) باللغة التارجية فدخله ، واستقبله صاحب الخان مُرَحباً به ، وقال له (القناص) بلغة تارجية بسيطة :
أريد الحصول على حجرة للإقامة بضعة أيام ، وربما أسبوعاً أو اثنين .

فأجابه صاحب الخان ضاحكاً بلغة عربية ، وعيناه تلمعان من خلف لثامه الأبيض : أنت مصرى دون شك .. فقد عملت بعض الوقت فى (مصر) وأعرف جيداً ملامح أهلها ولهجتهم .
ابتسم (القناص) وقال للرجل : من دواعى سرورى أن أقابلك .
ـ هل جئت فى عمل ؟
ـ نعم .. إننى أعمل كمراسل صحفى لإحدى الصحف الأوربية ، وأرغب فى القيام بعمل تحقيق صحفى عن حياة سكان الواحة ، وكشف أثر المدنية على تقاليد سكان الواحة القديمة .

فرك صاحب الخان كفيه فى سرور وقد بدا الجشع فى عينيه قائلاً :

ـ إننى ادعى (أحمد زاده) ولن تجد أفضل منى ليساعدك فى هذا العمل ؛ ولكنه سيستغرق منى كثير من الوقت والجهد و ..

قاطعه (القناص) فى لهجة عملية : إننى مقدر لك ذلك .. ومستعد للدفع فى سخاء .
ابتسم (أحمد زاده) قائلاً :
ـ ثق أننى سأكون خير عون لك فى مهمتك .
والتقط مفتاح أحد الغرف من لوحة المفاتيح خلف ظهره ؛ ولكن قبل أن يمدها إلى (القناص) شاهد (مراد) رجلاً مفتول العضلات يقترب منه ، ويرميه بنظرة ضيقة متفرسة بطريقة وقحة .. كان للرجل وجه أحمر منتفخ ، وشارب ضخم ، وعينان زرقاوان تشيان بالقسوة التى لا حد لها ، وقد استقر بين شفتيه ، سيجار (كوبى) ضخم مشتعل ، وانبعثت منه رائحة عطر نفاذة مثيرة للغثيان .
وتعرف (مراد) على الرجل المنتفخ الوجه على الفور .. كان رجل المخابرات الروسى (ايفان بافلوفتشى) أو السفاح .. وكانت مصادفة غير عادية أن يلاقيه (القناص) فى بداية مهمته !

ولم يبد على وجه (القناص) شيئاً مما يدور فى أعماقه .. وبادر الروسى فى لطف قائلاً : يبدو اننى أُشبه صديقاً لك يا سيدى ، أو ذكرتك بشخص ما .. وإلا ما حدقت فىّ بمثل تلك الطريقة !!
ازدرد (ايفان) لعابه فى صوت خشن دون

مبالاة ، وهو لا يزال يحدق فى (القناص) بطريقته المستفزة ، وقال فى انجليزية ثقيلة : لا يأتى كثير من الغرباء سافرى الوجوه إلى هذا المكان ٠

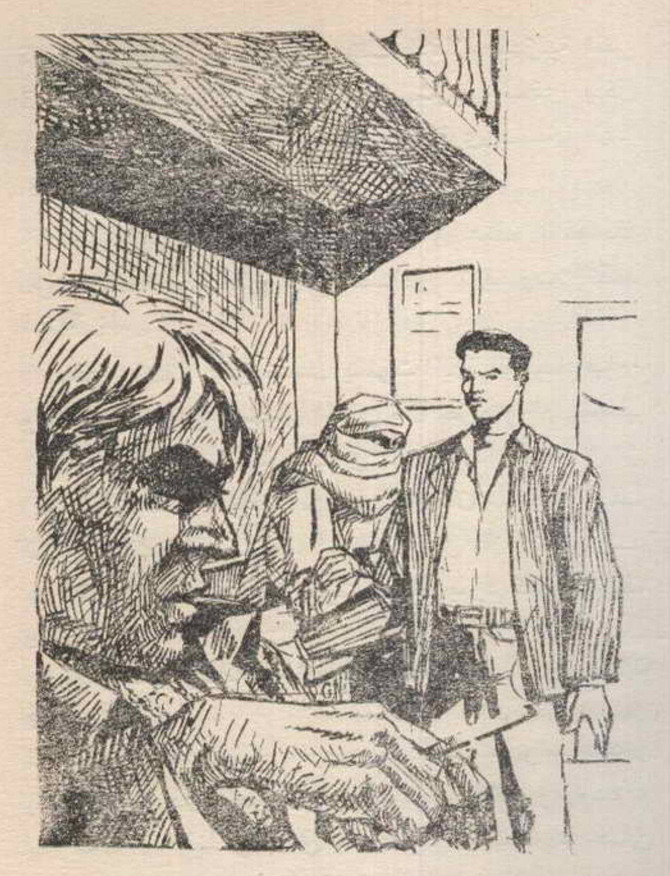
أجابه (القناص) بلهجة لا تخلو من سخرية : إنها نفس ملاحظتى أيضاً ٠٠ وإن كنت أعتقد أن وجهك إذا ما تغطى باللثام سيبدو أكثر جاذبية !

احتقن وجه (ايفان) بغضب حاد ؛ ولكن (القناص) واصل بنفس اللهجة : ثق أننا سنتقابل كثيراً فى هذا المكان ٠٠ وسيتاح لك التعرف علىّ أكثر فى المرات القادمة ، كما أننى ساتذكر دون شك أين رأيتك من قبل ٠

أطبق (ايفان) على سيجاره بأسنانه الأمامية فى عنف قائلاً (للقناص) :

ـ من الأفضل لك ألا نتلاقى ٠٠ وأن تبتعد بأقصى ما تستطيع عن أى مكان أتواجد فيه ٠٠ هذا إذا رغبت فى إقامة هادئة فى تلك الواحة اللعينة ، أو أنك لن تجد وقتاً لتتندم فيه على مخالفتك ما أقوله !!

تجاهل (القناص) تهديد الروسى الصريح ، وقد بدا له كشخص متهور مستعد لمناطحة ثور إذا ما وقفت ذبابة فوق أنفه ، فأجابه فى لهجة أودعها كل سخريته : لقد تذكرت الآن أين رأيتك من قبل ٠٠



غمغم (ايفان) فى صوت خفيض محترق : لو اننى كنت لا ازال فى روسيا ، لدفنت هذا الشاب حياً فى ثلوج (سيبريا) ٠

فلا شـك أنك أحد أبطـال تلك الأفلام الهزلية التى يقدمونها للأطفال عن السـاحر الشرير الـذى يأكل الضفادع والفئران ، فمواهبك كما أرى مناسبة لهذا العمل تماماً !

أطبق (ايفان) على سيجاره فى عنف ، فسحقه بين اصابعه وهو يقول (للقنـاص) بصوت يتقـد غضباً :

لقد حكمت على نفسك بالموت أيها الشـاب .

وامتدت يده إلى المسدس المدلى من حزامه .. وتأهب (القناص) للعمل المناسب فى اللحظة ذاتها .. وكان المؤكد أن ذلك الوغد الروسى ما كان سيجد الوقت الكافى لاستخدام سلاحه ؛ ولكن قبل أن تمس يـد (ايفان) مسدسه علا صوت قاطع بارد كنصل سيف يقول :

ليس هذا مكاناً لاستعراض مهـارتك فى الرمـاية يا (ايفان) !

تجمدت أصـابع الروسى مكانها ، واسـتدار إلى محدثه ذى الوجه الذى له لون الثلج وبروده ، وما كان (القناص) فى حـاجة لأن يتعـرف عـلى الجنرال (تشـارلز) بقامتـه الممشـوقة ، وبدنـه الرياضى ، وتلك النظرة العميقة كبئر لا قرار فيـه

والمرتسمة فى عينيه الخضراوتين .. وقال (ايفان) من بين أسنانه فى صرير حاد :

لقد أهاننى هذا الشاب .. وكان لا بد أن يلاقى عقاباً قاسياً و ..

ولكن بقية كلمات الروسى ماتت فوق شفتيه أمام نظرات رفيقه الباردة .. الآمرة ، وقد بدا جليا (للقناص) من هو الزعيم فى زمرة الأوغاد تلك ، وأنه الوحيد القادر على السيطرة على مثل ذلك الثور المتهور .. وغمغم (ايفان) فى صوت خفيض محترق :

— لو أننى كنت لا أزال فى روسيا .. لدفنت هذا الشاب حيا فى ثلوج (سيبيريا) لتنهش الذئاب لحمه حيـا .

تقدم الجنرال (تشارلز) بفك مطبق ، وألقى على (القناص) نظرة قصيرة قبل أن يستدير صوب صاحب الخان الذى كتم أنفاسه خوفاً ، وقـال له : إعطنا مفتاحى حجرتينا .. وليكن معلوماً لك أننا سنغادر هذا الخان القذر غداً صباحاً .

التقط صـاحب الخـان مفتـاحين مدهمـا إلى الإنجليزى فى صمت ، والتقط الجنرال (تشارلز) المفتاحين .. وتحرك داخلاً يتبعه (ايفان) ككلب

مطيع لصاحبه .. واستدار الروسى ليرمى (القناص) بنظرة مشتعلة أودعها كل غضبه ووعيده ، ثم اختفى داخل الخان .. واستدار (القناص) إلى (أحمد زاده) قائلاً :

- هل يزوركم الكثير من أمثال هؤلاء الأجانب ؟

هز (أحمد زاده) كتفيه قائلاً : لا يحدث ذلك إلا فى حالات نادرة ، فقد يأتى بعض الصحفيين أو دارسى الطبقات الأرضية والجيولوجيا ؛ ولكنها المرة الأولى التى يأتى فيها من ينقب عن البترول فى هذه الواحة وما حولها .

تساءل (القناص) فى لهجة توحى بعدم الإهتمام :

- هل هم تابعين لإحدى شركات البترول ؟

أومأ (أحمد زاده) برأسه مُجيباً فى عدم ارتياح :

نعم .. وإن كانت ملامحهم تشى بأنهم ربما كانوا تابعين لشركة تبيع مقاصل الإعدام وليست شركة للتنقيب عن البترول !!

كتم (القناص) ابتسامة أوشكت أن تقفز فوق شفتيه .

كان صاحب الخان على حق فأولئك الأوغاد الثلاثة صناعتهم القتل وليس أى شىء آخر ، وكان

حسن الحظ أنه عثر على بغيته فى اللحظة الأولى .. وفى نفس المكان .. وقد أشعل ما جرى بينه وذلك الروسى الرغبة بداخله فى حدوث صدام سريع يلقن فيه ذلك الوغد درساً قاسياً !

وتقدمه (أحمد زاده) قائلاً :

سوف أرشدك إلى حجرتك يا سيدى .. إنها ليست فاخرة مثل الفنادق الأخرى ؛ ولكنها تفى بالغرض منها .

كانت الحجرة ضيقة يتوسطها فراش خشن ، ودولاب صغير ، ومنضدة للطعام والكتابة .. كانت الحجرة خشنة وبدائية ولكنها كانت كما قال صاحب الخان تفى بالغرض منها !

وأغلق (القناص) باب حجرته فى حرص ، وحصل على حمام بارد ثم غرق فى نوم عميق .. واستيقظ عند غروب الشمس ، فبدل ملابسه ، واتجه خارجاً .. وتهلل وجه صاحب الخان عندما رآه وأقبل نحوه قائلاً :

- هل ترغب فى جولة داخل الواحة .. اصطحبك فيها ؟

أجابه (القناص) :

- أخشى أن أصادف صديقنا المنتفخ الوجه فيغضب

بشدة حالما يرانى ، وقد ينفجر لشدة غضبه فيصعب علينا علاجه فى هذه الواحة !!

أطلق (أحمد زاده) ضحكة عالية وقال (للقناص) :

ـ لا تخشى يا سيدى شيئاً ، فقد سمعته يتحدث مع زميله بأنهما لابد أن يتما عملهما خارج الواحة الليلة .. فلحسن الحظ أننى أجيد بعض الإنجليزية .

وغمز بعينه فى مرح مضيفاً : وهما لم يتوقعا منى ذلك على أى حال !!

تعقد حاجبا (القناص) فى إهتمام ، وسأل صاحب الخان :

ـ ألم يتحدثا عن طبيعة ذلك العمل الذى ينويان القيام بـه ؟

ـ لا يا سيدى .

ـ ومتى غادرا الخان ؟

ـ قبل ساعة .

ـ حسناً .. إننى مضطر لمغادرة الخان أيضاً .

ـ ألا ترغب فى أن أصطحبك فى جولة داخل الواحة ؟

أجابه (القناص) قبل أن يغادر المكان :

ـ سوف أبدأ جولتى خارج الواحة .. لا بداخلها .. ولكنك تستحق أجرك على أى حال .

ومنح (مراد) صاحب الخان قبضة من الدولارات ، ثم غاب عن عينيه ، فغمغم (أحمد زاده) فى دهشة :

ـ ما الذى يقصده هذا الشاب .. وأى شىء سيجده خارج الواحة ليذهب إليه فى جولة فى الليل !؟

وحك مؤخرة رأسه ، وغمغم فى دهشة أشد وحيرة بالغة :

لماذا ذهب الجميع فى جولة خارج الواحة الليلة .. وأى شىء سيبحثون عنه بالخارج فى قلب الظلام !؟

وألقى نظرة إلى المال الكثير فى يده ، ثم هز كتفيه فى ارتياح ودسه فى جيبه وقد قتل المال فضوله .

وخارج الخان كانت واجهات الحوانيت ، والمنازل مضاءة باللمبات الزيتية .. وقد تناثرت هنا وهناك بعض اللمبات الكهربائية تديرها موتورات صغيرة .

ولم يكن هناك وقت ليضيعه (القناص) فى تأمل ما حوله .. ادرك أنه وصل الواحة فى لحظة مناسبة تماماً ، وأن الجولة الليلية للجنرال (تشارلز) وصاحبيه لابد أن تكون لهدف وحيد .. الكنز الذهبى .. وكان عليه أن يسبقهم فى الوصول إليه ..

وبدا المشهد أمامه للصحراء المترامية الأطراف غارقاً فى الظلام ، والسكون ، والغموض ، والرهبة ..
وتساءل (القناص) فى أى اتجاه ذهب الجنــرال وتابعه الروسى فى الصحراء التى لا نهاية لها حوله !؟
وطاف خاطر" فى ذهنه .. هل أفلت الصيــد من قبضته ؟
وكان ذلك الأمر المؤلم هو ما يبدو انه قد حدث بالضبط !!

* * *

الفصل الثالث

اتفاق جنتلمان

ألقى الجنرال (تشــارلز) نظرة على ســاعته الفوسفورية المضيئة ، وغمغم فى سخط : لقد تأخــر (مايكل) . كان المفترض وصــوله قبيل غــروب الشمس بساعة واحدة . بصق (ايفان) على الأرض فى احتقار وهو يقول : إنه ألمانى متعال وأحمق .. ولن يسعدنى أكثر من أن أسمع نبأ إلتهام ذئاب هذه الصحراء لــه .

تطلع الجنرال إلى الروسى كاظماً غضبه ، وقال لــه :

– لماذا لا تخفيان عداوتكما السخيفة حتى ننتهى

من هذه المهمة ؟ فأنتما تجعلانى أعتقد أننى أصطحب اثنين من المراهقين معى .

عاود (ايفان) البصق مرة أخرى ، وقال فى لهجة شديدة العداء :

ـ لسوف يكون لى شأن آخر مع هذا الألمانى المتعالى بعد انتهاء هذا العمل ، وحصولى على نصيبى من الكنز .

صاح (تشارلز) فى غضب :

ـ صه أيها الأحمق .. واخفض صوتك .

قهقه (ايفان) فى صوت عال ، وارتج جسده لضحكاته الصاخبة .. والتفت إلى (تشارلز) قائلاً :

ـ وهل تخشى أن يتصنت علينا شخص ما فى قلب هذه الصحراء .. انظر .. ليس حولنا سوى الظلام ، والكثبان الرملية ، والذئاب التى ترمح هنا وهناك .. ونحن على مسافة عشر كيلو مترات على الأقل من الواحة .

بدا على (تشارلز) شىء من القلق وهو يقول :

ـ لو أن أمرنا انكشف لوجدنا آلاف من سكان الواحة يهرعون لسلخ جلودنا والاستيلاء على الذهب .

التمعت عينا (ايفان) بنظرة ماكرة وقال :

أنت لا تخشى سكان الواحة فنحن كفيلون بهم ، وبتعليق رءوسهم فوق قمم النخيل القريبة دون شفقة .. وفى الحقيقة .. فأنت لا تخشى غير شىء واحد .

وغمز بعينه ، وهو يضيف بلهجة خاصة :

إنك تخشى رجال مخابرات بلادك .. ورؤساءك هناك !

ضاقت عينا (تشارلز) بشدة ، وقال فى توتر بالغ :

لو أنهم علموا أننى أسعى وراء هذا الكنز لكانت نهايتى .. بل نهايتنا جميعاً .. فلن يكتفوا باستعادته منا بعد عثورنا عليه ، بل سيحاكموننى بتهمة الخيانة العظمى أيضاً .. وسيمحون تاريخى المجيد فى خدمتهم ! .

أشعل (ايفان) سيجاراً غليظاً قائلاً :

لا تخشى شيئاً .. فنحن هنا بعيدون تماماً عن العالم المتحضر .. ويستحيل أن يكتشف سرنا إنسان .. سوف نعثر على الذهب ونستخرجه .. وبعدها سيذهب كل منا إلى أبعد مكان على الأرض بشخصية مختلفة ؛ لنعيش أثرياء بقية عمرنا ، ولتذهب

كل أجهزة المخابرات فى العالم إلى الجحيم ماداموا لا يمنحون للرجال المخلصين ما يستحقونه من ..

قاطعه الإنجليزى فى همس آخر : صه .. أتسمع هذا الصوت ؟

أطبق (ايفان) فمه .. وبدا الصوت القادم من بعيد ضعيفاً واهناً ؛ ولكنه واضح المعالم . كان صوت موتور سيارة قوية .

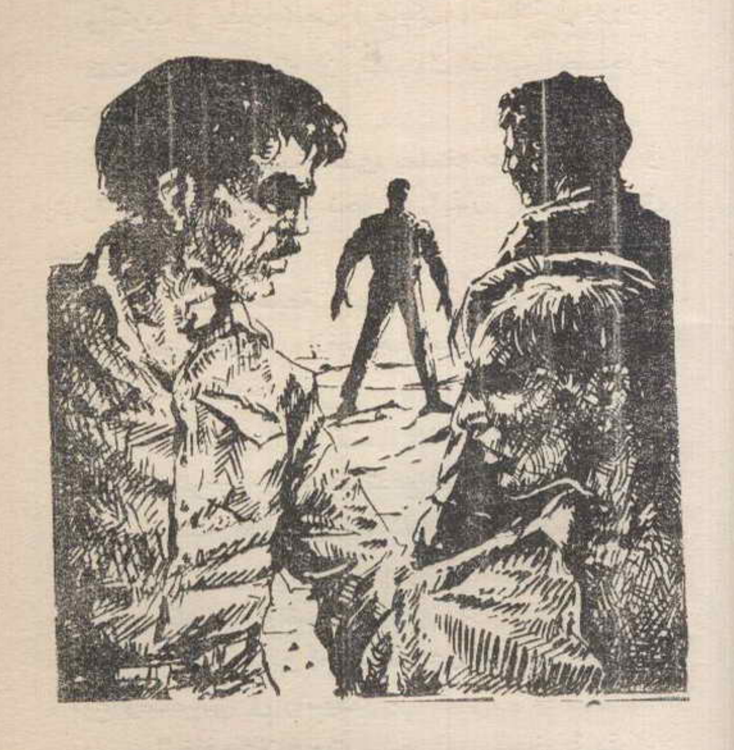
وهتف الجنرال (تشارلز) :

لقد أتى (مايكل) بالديناميت .. ولن تمر ٢٤ ساعة حتى نحصل على كنزنا .. أخيراً .. بعد كل تلك السنين .

واقتربت السيارة الجيب الكبيرة ، ثم توقفت على مقربة ، وقفز منها (مايكل ادولف) بوجهه المغطى بالنمش ، وقامته المديدة .. وهو يلوك بعض التبغ فى فمه ، وقد أخذت عيناه الضيقتان البنيتان ترسلان وميضاً مثل عيون الذئاب فى الظلام .

وهرع (تشارلز) إلى (مايكل) هاتفاً : هل أحضرت الديناميت ؟

أشار الألمانى إلى الجيب قائلاً : إنها مكدسة به حتى السقف .



ومن الخلف علا صوت ساخر اشد السخرية يقول : يبدو اننى وصلت فى لحظة مناسبة أيها الرفاق .

– رائع .. لن يعطلنا شىء عن بدء مهمتنا .

واقترب (ايفان) من (مايكل) قائلاً فى برود :

كنت أخشى عليك أن تهاجمك ذئاب الصحراء وتفترسك .

بصق الألمانى التبغ الذى يمضغه على الأرض فى إشارة واضحة لشعوره نحو (ايفان) وأجابه فى سخرية :

– لقد قتلت سبعة منها فى الطريق .. وكان إحداها من البدانة والغباء بحيث حسبته بادىء الأمر شخصاً أعرفه !

غمغم (ايفان) فى غضب للإهانة :

– أيها الوغد .. لسوف تدفع ثمن ما قلته غالياً ..

وقبل أن تمتد يده إلى سلاحه .. كان مسدس (تشارلز) يلمع فى قبضته ، وهتف فى صوت غاضب بدت فيه كراهية واضحة للرجلين :

– أقسم أنكما لو لم تتوقفا عن الشجار ، فسوف أُفرغ رصاصاتى فى رأسيكما .

ومن الخلف علا صوت ساخر أشد السخرية يقول :

– يبدو أننى وصلت فى لحظة غير مناسبة أيُّها الرفاق ، وأنتم تتبادلون العتاب الرقيق !

استدار رجال المخابرات الثلاثة فى ذهول ، وعندما وقع بصرهم على (القناص) ، اتسعت عيونهم عن آخرها حتى أوشكت أن تخرج من محاجرها .

وجزّ الروسى على أسنانه وهو يقول :

– كيف اهتديت إلى مكاننا فى قلب هذه الصحراء !؟

هز (مراد) كتفيه فى سخرية مجيباً :

– إن الفضل يعود إليك يا عزيزى .. فقد خرجت للنزهة حول الواحة ؛ ولكن رائحة غريبة اجتذبتنى ، وقادتنى كل هذه المسافة فى الصحراء المظلمة .. وأنا أحاول أن أتذكر أين شممتها من قبل ، وخُيل لى فى لحظة أنها رائحة حيوان ميت .. قبل أن اكتشف أنها عطرك الخاص الممتزج برائحة سيجارك الذى يشبه مخلفات الحيوانات فى بلادى !

امتدت يد (ايفان) إلى مسدسه على الفور ؛ ولكن نظرة آمرة من عينى (تشارلز) أوقفت اندفاع حركته ، فى حين ألقى الألمانى نظرات فاحصة على (القناص) دون أن يفهم شيئاً مما يدور حوله .

واقترب (تشارلز) من (القناص) وهو يقول :

– وما الذى جاء بك خلفنا ؟

أجابه (مراد) فى عدم إهتمام :

– لعله نفس السبب الذى جاء بكم إلى نفس المكان ·· وهو استنشاق بعض الهواء النقى فى وسط الظلام ·

وأضاف فى لهجة لا تخلو من مرح :

إن لى حاسة شم قوية · وقد التقط أنفى رائحة أخرى غير معتادة تأتى من مكان ما قريب غير رائحة عطر وسيجار صاحبنا البدين المنتفخ ·· واعتقد أنها تلك السيارة الجيب ·· والآن دعونى أخمن طبيعة تلك الرائحة ·· إنها الغالب رائحة بارود أو متفجرات ·· فهل أخطأت فى ظنى ؟

ترامق الرجال الثلاثة فى صمت وتوتر ، وقد بدا لهم واضحاً خطورة من يحدثهم ·· وجرأته التى لا حد لها ·· وضاقت عينا (تشارلز) وهو يقول (للقناص) :

– لماذا لا تكشف لنا عن أوراقك بدلاً من تلك المناورات ؟

حك (مراد) ذقنه بظهر يده وهو يقول فى دهاء مستكملاً مناورته الخطرة :

– أن هذا يتوقف على الفائدة التى ستعود لى من وراء ذلك ·· وفى رأيى الخاص أن ما يمكن قسمته

على ثلاثة يمكن قسمته على أربعة أيضاً ·· ولن يقل نصيب الواحد منكم كثيراً ·

توترت أصابع (تشارلز) وهو يقول :

– عن ماذا تتحدث ؟

– لا تراوغ يا عزيزى ·· مثلما أفضى إليك والدك بسره ·· فقد فعل أبى الشىء ذاته ·

– أبوك ·· من هو ؟

– إنه الدليل الذى قاد الكولونيل (جورج دولبى) إلى هذه الواحة ليختفى فيها عن مطارديه من الألمان ، والإيطاليين ، قبل أكثر من نصف قرن ، ثم ساعده فى العودة إلى بلاده بعد سنوات ·· وهكذا ترى أن والدك مدين لوالدى بحياته ·· وأننى أستحق نصيباً من الكنز أيضاً ·

غمغم الروسى بغضب : إنك لن تحصل سوى على رصاصة فى قلبك ، أيا كانت حقيقتك !

ولكن (مراد) أشار إلى (ايفان) فى لهجة تحذير قائلاً :

– لا تجهد نفسك فى الحديث معى يا عزيزى ، فإننى لا أتعامل مع السفهاء ؛ بل مع من يصدرون الأوامر مباشرة ، فما هو ردك أيها الجنرال (تشارلز) ؟

كظم (ايفان) غضبه بنظرة من (تشارلز) الذى التفت إلى (القناص) محاولاً إخفاء مشاعره الخاصة قائلاً :

- يبدو أنك تعرف الكثير حقاً !

واجهه (مراد) فى تهديد لا يخفى :

- دون شك .. فإننى أعرف ما يجهله حتى رؤسائك فى المخابرات !

ضاقت عينا الإنجليزى بشدة .. كان تلميح (القناص) واضحاً وصريحاً .. وساد صمت ثقيل بعد كلماته .. صمت قاتل . كان الكثير يتوقف على ما يرد به (تشارلز) .

وهتف الروسى فى غضب :

- لن أتنازل عن جرام واحد من نصيبى من الذهب .

صاح (تشارلز) فى غضب حاد :

- صه أيها المتهور .

والتفت إلى (القناص) ليصافحه قائلاً :

- لقد اتفقنا .. وصار بيننا الآن اتفاق جنتلمان .. سوف يتم تقسيم الكنز على أربعة لا ثلاثة !

شد (القناص) على يد الإنجليزى قائلاً :

رائع .. ومتى سنبدأ العمل لاستخراج الكنز ؟

اجابه (تشارلز) بعينين ضيقتين :

- غداً .. صباحاً .. سنغادر الخان سويا لاستخراج الكنز .

عاد (مراد) يسأله :

- ولكن كيف سنخرجه من مكانه ؟ إنه بحاجة إلى شاحنة ضخمة لنقله .

جز (تشارلز) على أسنانه ليكظم غيظه مجيباً :

- لا تشغل نفسك بذلك ودع هذا الأمر لنا .

حدق (مراد) فى الوجوه الثلاثة التى نطقت بالعداء الصريح له وقال :

- حسناً .. أرى أنه لم يعد هناك ما أفعله الآن .. وسأترككم تنعمون باستنشاق الهواء النقى .. وسنلتقى فى الخان غداً صباحاً لنبدأ مهمة استخراج الذهب سويا .

وتحرك (القناص) مغادراً المكان .. فصاح (تشارلز) :

- إنك لم تخبرنى عن اسمك ، وجنسيتك ؟

أجابه (مراد) :

- لعلك خمنت أننى مصرى .. وهم يلقبوننى

(بالقناص المحترف) .. أمـا اسمى فلا يهم !
واختفى (القناص) فى قلب الظلام .
وغمغم الروسى بدهشة :
- (القناص المحترف) .. أين سمعت هذا اللقب من قبل ؟
وهتف (مايكل) بغضب :
- لست أفهم شيئاً من كل ما دار حولى ؛ ولكن شيئاً وحيداً أفهمه ، وهو أننى لن أسمح لأى شخص أن يشاركنى فى جزء من نصيبى .
سحق الروسى سيجاره بعنف تحت حذائه الغليظ قائلاً :
- ولا أنا أيضاً .
اعتصر (تشارلز) قبضـة يـده اليمنى بكفـه اليسرى فى غضب قائلاً :
- ومن قال إننا سنمنح هذا الشخص أيا كـان نصيباً من كنزنا ؟
تساءل الألمـانى :
- أتعنى أنك .
قاطعه الإنجليزى :
- بالطبع يا عزيزى .. إن هذا الشاب خطر جداً كما يبدو ، فهو يعرف الكثير .. والكثير جداً ممـا

يهددنا .. كما أن أسلوبه لا يروقنى .. فهو أسلوب محترفين ، فهو بالغ الثقة والجرأة إلى حد مُذهل ، وقد واجهت كثيرين أمثال هذا (القناص) .. وأعرف كيف أتخلص منهم سريعاً دون ضجيج .
والتمعت عيناه ببريق كاللهب وهو يضيف فى حسم : الليلة !
واضاف فى صـوت ينـذر بشر رهيب : وقبل أن تشرق شـمس الغـد .. سـنكون قـد منحنا ذلك الشاب نصيبه الذى يستحقه .. ليتمتع به فى العالم الآخر !!
وأطلق ضحكة عالية شـاركه فيهـا زميلاه .. وتردد صداها فى الفراغ حولهم ..
ضحكة قطيع من الذئاب المتوحشة .

* * *

المهمة الأخيرة

ساد السكون حجرة (' القناص) الغارقة فى الظلام .. وقد تمدد فوق فراشه الخشن وتغطى بملاءة طويلة تقيه لدغات الناموس والبعوض .. وفى هدوء ودون أدنى صوت انفتح باب الحجرة .. وأطل منه وجه الذئب الألمانى (مايكل ادولف) .. وفى أصابع يده اليمنى (ماستركى) قادر على فتح أى قفل مهما كان .

وأشار (مايكل) إلى (' ايفان) و (تشارلز) برأسه فى صمت ، وهو يومىء إليهما تجاه (القناص) المغطى بالملاءة دون حراك .

وغمغم (ايفان) فى همس :

- دعنى أقتله بالرصاصة التى وعدته بها لتستقر فى قلبه .

أجابه (مايكل) :

- إنها مهمتى .. فتحطيم الجماجم هى عملى الأثير !

وتقدم الألمانى نحو وسادة الفراش وسدد فوهة مسدسه الكاتم للصوت ثم ضغط الزناد .. وانطلقت الرصاصة القاتلة من مسافة سنتيمترات قليلة فى دوى مكتوم .. وامتلأت الملاءة ببقعة من الدم الكثيف قانية اللون .. وتفجر بعضها على وجه (مايكل) فالتمعت عيناه ببريق وحشى لمنظر الدماء التى مسحها عن وجهه فى تلذذ .. ومد يده ينتزع الملاءة .. واتسعت عينا الألمانى ذهولاً .. كانت هناك تحت الملاءة وسادة عريضة بدت كجسد شخص ممد فوق الفراش .. أما الرأس فكانت كيساً محشواً بسائل أحمر اللون انفجر فى وجهه ، ولم يكن دماً بأى حال من الأحوال ! .

وهتف (مايكل) فى غضب وحشى :

- لقد قام هذا الثعلب بخداعنا !

ودق (ايفان) الأرض بقدمه فى غضب صائحاً :

- هذا الماكر المخادع .. إن شخصاً لم يفعل بى مثلما فعل ذلك المراوغ .

وأُضيئت أنوار الحجرة فى اللحظة ذاتها .. واستدار الرجال الثلاثة شاهرين مسدساتهم صوب زر النور ؛ ولكنهم لم يلمحوا أحداً فى الحجرة سواهم .. وقد بدا كأن النور أُضىء بطريقة سحرية !

واتجه (تشارلز) نحو زر النور وتفحصه فى غضب ثم قال :

لقد عبث به شخص ما لكى يُضاء بعد دقيقة واحدة من فتح باب الحجرة .

تقلصت أصابع كف (ايفان) فى قبضة هائلة وزمجر قائلاً :

- إن هذا الماكر يتلاعب بنا ، وكان يعرف ما انتويناه ؛ لذلك أعد لنا هذه الخدعة و ...

علا صوت الألمانى مقاطعاً فى حدة قائلاً :

- انظروا تلك الكلمات المدونة على الحائط .

استقرت عيون الرجال الثلاثة على العبارة المكتوبة باللغة الإنجليزية فوق الجدار القريب . كانت كلماتها تقول :

« لقد بدأتم بالخداع ، ونقض العهود ، فاستعدوا للحرب » .

استدار (مايكل) فى غضب حاد قائلاً :

– تبا لهذا الوغد .. إنه يتلاعب بنا كما لو كنا بعض المراهقين الهواة .

زمجر (تشارلز) بقوة قائلا :

– يبدو أننا لم نعط لهذا الشاب حقه من الكفاءة .. فهو يبدو أكثر احترافاً لى مما ظننت فى البداية .

زمجر (ايفان) قائلاً :

– لو كان كذلك لبادر إلى إطلاق الرصاص علينا من مكان خفى ، ونحن منهمكون فى التسلل إلى حجرته لاطلاق الرصاص عليه .

أجابه (تشارلز) ساخراً :

أين ذكاءك يا صاح ؟ فإنه لو فعل ذلك لفقد الطريق إلى الذهب ، فهو لن يحصل عليه بدوننا .. وثلاث جثث لن تدله على مكانه !!

تساءل (مايكل) :

– وما العمل الآن ؟

غمغم (تشارلز) فى توتر قائلاً :

– لست اشك أن هذا الماكر لا يزال فى الواحة قريباً منا يراقبنا خفية .

بصق (مايكل) بعض التبغ من فمه قائلاً :

– لو أننى عثرت عليه لمزقته .

– أجابه (تشارلز) :

ولكنه لن يتيح لك تحقيق تلك الأمنية .. لقد بدأناه بالخداع ، وعلينا أن نتوقع منه الكثير .. وضاقت عينا (تشارلز) وهو يضيف : من المؤكد أن ذلك الرجل ضابط مخابرات محترف .. فهو يعرف ما يفعله تماماً ويؤديه بقلب ثابت ، وهو على استعداد لإعلان الحرب علينا دون خشية لمجرد التمتع بالمفاجأة التى تصيبنا .. ومثل هذا الرجل يكون فى العادة خطيراً .. خطيراً جداً .

تساءل (مايكل) فى قلق :

– هل سنؤجل مهمة الغد فى استخراج الذهب ؟

برقت عينا (تشارلز) ، وهو يقول :

– لا .. لن نؤجل شيئاً .. ومن المؤكد أن هذا الماكر سيعمد إلى مراقبتنا للوصول عن طريقنا إلى الذهب .. وعندئذ سنعد له نحن أيضاً مفاجأة لم تكن لتخطر على باله مهما بلغت قوة ذكاءه .. وأضاف فى لهجة مخيفة : وستكون المفاجأة الأخيرة .. قبل أن نرسله إلى الجحيم !!

ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجه (القناص) ، وهو فى مكانه الخفى فى الحجرة المجاورة ٠٠ كان قد سمع كل ما دار فى حجرته بواسطة ميكروفون سرى فى حجم حدقة العين ثبته فى مدخل الحجرة ، وأخفاه بحيث لا يراه ذئاب المخابرات الثلاث ٠٠ مهما بلغت مهارتهم ٠ كان قد أعد خدعته فى مهارة منقطعة النظير ، وكان كما قال (تشارلز) إنه أعد تلك الخدعة ليستمتع بالمفاجأة التى ستصيب الأوغاد الثلاثة ٠ وقد توقع ما جرى ٠٠ وخمن أن الرجال الثلاثة سيحاولون قتله ليلاً ، فمثلهم ما كانوا ليتركوا حتى أباءهم يشاركونهم نصيبهم فى الذهب، وكان يعلم ذلك منذ البداية ، وهو يضع خطته الخطرة ٠٠ ولم ينخدع باتفاق الجنتلمان بينه و (تشارلز) ، فمن قبله كان هناك اتفاق جنتلمان بين حكومته ؛ و (مصر) بمنحها ذلك الذهب ثمناً لمساهمتها فى الحرب ٠٠ وخان الإنجليز اتفاقهم ٠٠ ففى الحروب ليست هناك سوى لغة الخداع والمكر ، وقد كان (مراد) يعرف ذلك جيداً ٠٠ ولذلك لم ينخدع باتفاق الجنتلمان مع من لا يصون الوعد !

وكان عليه أن يبادر بالهجوم وكشف كل الأوراق ؛ ولهذا أظهر نفسه لأعدائه فى قلب الصحراء طالباً منهم

اقتسام الذهب ليثير الارتباك ، والحيرة بينهم ٠٠ وكان يتوقع أن يتظاهروا بالموافقة ، ثم يحاولون قتله ٠٠ وصح ما توقعه ٠٠ وكان يمكنه أن يتبع خطة أسهل بمراقبة الرجال الثلاثة دون أن يُظهر نفسه ، ويكشف لهم معرفته بسرهم ؛ ولكن مثل ذلك الأمر لن يكن يتيح له متعة المطاردة ٠٠ والخداع ٠٠ والقنص فى النهاية ٠٠ وكان على يقين أن رجال المخابرات الثلاث سيعدون له مفاجأة قاسية ٠٠ وأنهم سيضعون خطة أخيرة للتخلص منه ؛ ولكنه ما كان ليخشى أكثر المفاجآت دموية ، فقد اعتاد عليها ، وصار الوقوع فى الخطر واقتحامه هى هوايته الأثيرة ؛ وهكذا أخلد (القناص) للنوم ، وهو يتعجل شمس الغد ليكمل ما بدأه من عمل ٠

واستيقظ فى الصباح نشيطاً متجدد القوة ؛ ولكن ، كانت مفاجأة مؤلمة فى انتظاره بأسفل ٠ كان (أحمد زاده) ممدداً على الأرض خلف مكتبه الصغير ، وقد استقرت رصاصة فى منتصف جبهته ، وظهرت نظرة جاحظة فى عينيه ٠٠ ولم يكن من شك أن أحد أوغاد المخابرات الثلاث ، هو صاحب الرصاصة القاتلة ، التى ضمنت سكوت (أحمد زاده) ، وعدم ثرثرته بأى معلومة خطرة عنهم !

وسمع (القناص) ضجة خارج الخان فادرك أن أمر قتل صاحبه قد اكتشف .. وتاكد بالغريزة أن شكوكاً قد تتجه إليه باعتباره القاتل .. أو لعل أعدائه الثلاثة قد أشاعوا ذلك فى الواحة !

وكان عليه العمل بسرعة ، فوقته لا يحتمل الانتظار أو إثبات البراءة .. وفى سرعة ومهارة .. اندفع إلى حجرة الحمام القريب فى اللحظة التى اقتحم فيها سكون الواحة الخان ، وسمع (القناص) صياحهم الغاضب ، وصرخاتهم وهميطلبون البحث عنه باعتباره القاتل !

كان ظنه فى محله .. وكان عليه مغادرة المكان بسرعة ، ووقع بصره على غطاء خشبى كبير لأحد آبار استخراج المياه من أنفاق مجاريها فقفز داخلها ، وأعاد الغطاء مكانه ، وشرع فى السير داخل مجرى المياه العريض الذى انتهى به خارج الواحة .

وتوقف أمام سيارته (اللاندروفر) واخذ يتأملها فى صمت .. كانت إطارات السيارة ممزقة راقدة فوق الرمال كجثة هامدة . لم يكن هناك شك فى الفاعل .. فقد اتخذ ذئاب المخابرات الثلاث كل احتياطاتهم الواجبة تجاهه .. وتساءل (القناص) إن كان ثمة

مفاجأة أخرى أعدها له أعداؤه تحسباً لنجاته من تهمة القتل ؟

وفى اللحظة التالية .. اكتشف الإجابة بنفسه .. وقد تعالى الغبار كثيفاً تحت سنابك الخيول ، وراكبيها الملثمين المندفعين نحوه شاهرين بنادقهم .

ادرك (القناص) أن ذئاب المخابرات استأجروا أولئك الرجال لقتله .. وكان يدرك أن رجال الطوارق يؤدون أعمالهم دائماً كأحسن ما يكون .. ولم يكن من شك أن مهمتهم فى تلك اللحظة .. كانت تسليمه لمن استأجروهم جثة هامدة .. وإنهم لن يتوانوا فى ذلك ولو تعلق الأمر بحياتهم !

كانت مفاجأة بحق .. وقد أحسن أوغاد المخابرات عملهم هذه المرة واتخذوا كل الاحتياطات الواجبة للقضاء عليه ؛ ولكن (مراد) لم تبد عليه أى مظاهر المفاجأة غير المتوقعة .. أو لعله كان يتوقعها بالذات ..

وانطلقت الرصاصات كالمطر تجاه (القناص) لتسلبه أى مبادرة للهرب ؛ ولكنه بادر بالعمل فى اللحظة ذاتها أو قبلها .. وبقفزة واحدة صار خلف سيارته الجيب يحتمى بها من سيل الرصاص المنهمر

حوله .. ولكنه برغم ذلك كان يدرك انه فى موقف سيىء وهو بلا سلاح .

واندفع رجال الطوارق فوق خيولهم تجاهه ، وهم يواصلون إطلاق الرصاص فى حصار على شكل دائرة جهنمية ، لا أمل فى النجاة منها ؛ ولكن عيون المحاصرين التمعت فى ذهول .. عندما شاهدوا المكان الذى اختفى فيه (القناص) وراء السيارة خاليا .. ولم يكن له من أثر فى المكان ، وكأنما انشقت الأرض عنه وابتلعته .. وخطر لأحدهم أنه ربما اختبأ أسفل سيارته ، فقفز من فوق جواده وأطل أسفل السيارة ، وارتكب الطوارقى فى ذلك الخطأ الذى كان (القناص) ينتظره منه فى ذات اللحظة !

وبلكمة ساحقة من قبضته هشم وجه الطوارقى والقاه بعيداً ، كما لو كان طوربيداً قد صدمه !

وانتزعت يد (القناص) الأخرى البندقية من كتف الطوارقى ، وأطلق دفعة من الرصاص ، من مكانه شتت مهاجميه .

وانتهز (القناص) الفرصة فقفز فوق جواد الطوارقى المصاب ولكزه للعدو بكل سرعته ، وفى الحال استدار مطاردوه تجاهه ، وهم يطلقون

رصاصاتهم معاودين هجومهم .. وادرك (مراد) أنه فى موقف حرج ، فما كان يستطيع قتال تسعة أشخاص وهو فى مكانه المكشوف مهما بلغت سرعة جواده ومهارته فى المراوغة .. واستدار (القناص) مصوبا بندقيته نحو هدف خاص ، وأطلق رصاصة واحدة ، وأصابت رصاصته هدفها فى دقة لا مزيد عليها ، وانفجر خزان وقود سيارته بعد أن أصابته رصاصة (القناص) .. وأصاب الانفجار ثلاثة من رجال الطوارق أسقطهم من فوق خيولهم جرحى .. وأشاع الانفجار الاضطراب فى صفوف الباقين .. وانتهز (القناص) الفرصة ، فاندفع بجواده يسابق الريح . وأفاق بقية رجال الطوارق من المفاجأة ، فاندفعوا بخيولهم خلف طريدتهم ، وقد اشتعلت بداخلهم الرغبة فى الانتقام .

وكان الجواد الذى استولى عليه (القناص) قويا سريع العدو كأنه الريح ، فانطلق به يقطع الفيافى .. ومن خلفه اخذت بقية جياد رجال الطوارق تطارده بنفس السرعة لا تفصلهم عنه سوى عشرات الأمتار .. وانطلقت رصاصة أزت إلى جوار أذن (مراد) على مسافة مليمترات منه .. ومست رصاصة أخرى كتفه صانعة خدشا فيها ، وكان يمكن لأى

رصاصة أن تصيبه فى مقتل ، فاستدار (القناص) وهو فوق ظهر جواده ، وأطلق رصاصتين مرغماً ، فما كان يرغب فى إيذاء من لا شأن لهم بمهمته حتى ولو عمدوا إلى مطاردته وقتله ، وأصابت الرصاصتين هدفيهما فى غير مقتل ، وسقط اثنان من مطارديه من فوق جواديهما ؛ ولكن المطاردة استمرت .. وازدادت توحشاً ، وتضاعف الرصاص خلف (القناص) وهو يلكز جواده ، ويشد لجامه ليعدو فى خط متعرج لتفادى الرصاص .. ولكنه ما كان يستطيع ضمان سلامته بتلك الطريقة حتى النهاية . واستدار (القناص) ليطلق رصاصتين أخرتين أسقطتا اثنين من مهاجميه ، وتبقى مهاجمان أخيران استمرا فى مطاردتهما له .

استدار (القناص) مرة أخرى مصوباً بندقيته .. ولكن البندقية أصدرت تكة مكتومة ، ولم ينطلق منها الرصاص !

نفذ رصاص البندقية !

وتأكد (القناص) من حرج موقفه .. وأدرك مطارداه ما حدث فأطلقا الرصاص من بندقيتهما عليه فى سيل منهمر .. وفجأة ترنح الجواد تحت (القناص)

وتباطأت سرعته ، وبنظرة واحدة أدرك (مراد) أن جواده أُصيب برصاصة فى مؤخرته .

كان الأمر أشبه ببداية النهاية .. وتباطأت سرعة الجواد أكثر ، والدماء تنزف منه .. وأدرك (القناص) أن جواده لن يتحمل الكثير .. وسينهار خلال أقل من نصف دقيقة .. وسيلحق به مطارداه ولكن وفى نفس اللحظة حدث أمر عجيب .. فقد توقف مطارداه عن الركض ، وبديا كأنهما يخشيان التقدم خطوة واحدة لسبب مجهول !

لم يصدق (القناص) ما حدث !

كان قد قرأ الكثير عن إيمان الطوارقيين بالخرافات .. واعتقادهم بأن أرواحاً شريرة تسكن بعض الجبال والأماكن ؛ ولذلك يتحاشون الاقتراب منها ، ولم يكن من شك أن جواد (القناص) اقترب فى خلال عدوه من مكان يعتقد الطوارقيون أنه مسكون بالأرواح الشريرة ، ويخشون الاقتراب منه .. وكان ذلك لحسن حظه .. وجاء فى التوقيت المناسب تماماً !

ولكن القناص سرعان ما غيّر رأيه فى اللحظة التالية .. فعندما اندفع جواده مواصلاً عدوه المترنح

وكانه فى النزع الأخير .. فجاة غاصت أقدام الجواد فى الرمال تحته ولم يقدر على تحريكها !

كان الجواد قد دخل براكبه منطقة للرمال المتحركة لا نجاة منها .. ادرك (مراد) ذلك متأخراً .. وأن توقف مطارديه عن الاستمرار فى مطاردته لم يكن بسبب لعنة ما يخشونها ؛ بل بسبب الرمال المتحركة ، ويقينهم أنها ستؤدى المهمة الموكلة إليهما خير قيام فى إسدال ستار النهاية لتلك المطاردة الدموية !

غاص الجواد حتى عنقه فى الرمال المتحركة ، وحاول (القناص) التشبث بأى شىء حوله .. ولكن حركته جعلته يغوص فى الرمال أسرع .. ولم يكن هناك أمل على الإطلاق فى النجاة !

ومن مكانهما شرع الطوارقيان فى مراقبة (القناص) وجواده ، وهما يغوصان فى الرمال المتحركة حتى غطت رأسيهما تماماً !

ووقفا مكانهما دقائق طويلة قبل ان يتاكدا من نهاية (القناص) واستحالة مغادرته قبره ..

ثم شرعا فى مغادرة المكان وعيونهما تلمع من وراء لثاميهما ببريق وحشى .. بريق الظفر !

* * *

الفصل الخامس

رصاصة فى الرأس

أطلق (ايفان) ضحكة عالية ارتج لها بدنه ، والتفت إلى رجلى الطوارق الملثمين أمامه ، وغمغم قائلاً :

— إذن .. فقد مات بطلنا المغوار .. ابتلعته الرمال المتحركة ، فيا له من مصير لا يليق بجرأته وغروره !

بصق (مايكل) بعض التبغ الذى يلوكه من فمه قائلاً :

— كنت أرجو لو كانت نهايته برصاصة من مسدسى .

وقال (تشارلز) :

لا تهم الوسيلة .. والمهم اننا تخلصنا من هذا المحترف .

والتفت إلى عشرين من رجال الطوارق الملثمين قائلاً :

والآن .. عليكم بتفريغ السيارة الجيب من حمولتها من الديناميت ، فنحن فى حاجة إلى أن نصنع حفرة ضخمة فى هذا المكان فى أسرع وقت .

وأشار إلى الأرض الرملية المنبسطة أمام جبل قريب ؛ ولكن عيون رجال الطوارق التمعت بشدة ، وزمجر أحدهم فى رعب قائلاً

ـ إن هذا الجبل تسكنه الشياطين .. ومن يقترب منه تكون له أسوأ نهاية .

وغمغم الباقون بنفس الكلمات فى رعب وهلع عظيمين .

صاح (تشارلز) فى غضب :

ـ لقد تلقيتم أجراً مضاعفاً لتؤدوا هذه المهمة .

تقدم أحدهم منه قائلاً :

ـ ولكنك لم تحدد لنا المكان بالضبط ، وما كان يمكننا أن نظن أنه مكان تسكنه الشياطين ...

قاطعه (تشارلز) فى غضب أشد قائلاً :

ـ كُفْ عن هذه الخزعبلات أيها الغبى .. فستفعلون ما آمركم به ، وإلا أرسلتكم إلى الجحيم لتشاهدوا الشياطين بالفعل .

وصوب مدفعه الرشاش إلى صدور رجال الطوارق ، وعيناه ترسلان باللهب ، وفى الحال امتدت أيدى (مايكل) ، و (ايفان) إلى أسلحتهما على استعداد لاستخدامها فى أى لحظة ، وترامق رجال الطوارق فى توتر وخوف .

وفى لحظة مباغتة .. اندفع ثلاثة منهم هاربين فوق جيادهم بكل سرعة .. وفى اللحظة التالية ضغط (ايفان) فوق زناد مدفعه الرشاش فانهمر الرصاص فوق الهاربين كالمطر ، وسقطوا عن جيادهم ، وقد استقرت فى أجسادهم عشرات الرصاصات ، وصرخ (ايفان) فى توحش فى الباقين :

ـ هيا .. فلتحاولوا الهرب لأتمتع بسلب ارواحكم وتمزيق أجسادكم فمنذ وقت لم أمارس هذه المتعة !

ارتعد رجال الطوارق وبان ذعر هائل فى عيونهم .. وتحركوا فى ذلة نحو سيارة الجيب البعيدة وهم يرتجفون هلعاً .

التفت (تشارلز) إلى (ايفان) قائلاً :
لقد أحسنت العمل يا عزيزى ، فانت تجيد القتل حقاً .

زمجر (ايفان) فى خشونة :

- أنت لم ترنى وأنا أعمل حقاً فى بلادى ، فقد كنت اختصر الوقت والجهد فى إرسال المغضوب عليهم إلى صحراء سيبيريا الجليدية ليموتوا هناك ، وكنت أقتلهم بنفسى فى عمل يومى لا ينقطع وسط درجة حرارة أقل من الصفر بخمسين درجة !

وغمغم وهو يمسح شفته السفلى بظهر يده كوحش جريح :

- كانت تلك أياماً رائعة ، والمؤسف أنها ذهبت بلا عودة !

وعمد إلى مراقبة رجال الطوارق الذين اقتربوا من الجيب ويده لا تزال قابضة على سلاحه ، كأنه يتمنى استخدامه مرة أخرى فى حصد أرواح المزيد منهم .. وفى اللحظة التالية .. دوى انفجار رهيب ، وتناثرت أشلاء السيارة الجيب ، فى صوت ارتجت له الصحراء .. وأصاب الانفجار عدداً من رجال الطوارق أسقطهم جرحى يئنان من الامهم .. وصرخ الآخرون فى رعب :

- إنها لعنة الجبل .. لقد نسف الشياطين السيارة !

وقفزوا إلى خيولهم وانطلقوا بها هاربين يسابقون الريح .. تاركين زملاءهم المصابين وراءهم ، وأفاق (تشارلز) من المفاجاة المذهلة سريعاً ، وصرخ فى رجال الطوارق الهاربين :

عودوا أيها الأوغاد وإلا قتلتكم .

وأطلق (ايفان) دفعة رصاص من مدفعه الرشاش صوب الهاربين ؛ ولكنهم كانوا قد ابتعدوا بما فيه الكفاية عن مرمى الرصاص ، فاستدار إلى زميليه ذاهلاً ، وغمغم فى عدم تصديق :

- ما الذى جعل السيارة تنفجر بمثل تلك الطريقة ؟

غمغم الألمانى فى توتر :

- إن أحداً لم يقترب منها .. لقد انفجرت وحدها !

ابتلع (ايفان) لعابه فى صوت مسموع قائلاً ، وعيناه تقفزان من محجريها ذهولاً :

- اتظنان أن ذلك الجبل مسكون بالشياطين حقاً ، وأنها هى التى نسفت سيارتنا ؟

صاح (تشارلز) فى غضب :

ـ كُفّ عن هذا الهراء أيها الأحمق .. فلعل حرارة الشمس الشديدة تسببت فى اشعال أصبع ديناميت داخل السيارة ففجرها بما فيها .

غمغم (مايكل) فى لهاث :

ـ إن حرارة الشمس لا تجعل الديناميت ينفجر بمثل تلك الطريقة .. ولو كان ذلك المصرى لا يزال حيا لقلت أنه قام بتفجير سيارتنا بطريقة ما ؛ ولكنه مات ولا يمكن لروحه أن تفعل ذلك أبداً مهما كانت نقمتها علينا .

هتف (تشارلز) فى غضب ، وقد بدت نقمته واضحة على رفيقيه :

ـ كُفّ عن هذا الهراء أنت وذلك الوغد الروسى ! وصوب مدفعه الرشاش إلى رجال الطوارق المصابين على الأرض صارخاً فيهم :

ـ هيا أيها الأوغاد .. انهضوا لتقوموا بمهمة الحفر وإلا فرغت رصاصاتى فيكم .

واتبع قوله ضغطة فوق زناد مدفعه الرشاش نحو أقرب المصابين فمزقته الرصاصات ، وأخمدت حركته .. وواصل (تشارلز) فى صوت أقرب إلى الصراخ ، وقد تحول إلى وحش بشرى : إن لم تتحركوا حالاً لاقيتم نفس المصير .

فترامق رجال الطوارق المصابين فى رُعب ، وتحاملوا على أنفسهم برغم إصابتهم ، والتقط كل منهم معولاً أو جاروفاً واندفعوا إلى الجبل القريب .. برغم إصاباتهم المؤلمة .

وغمغم (ايفان) وهو يراقب الرجال المصابين : سوف تكون حركتهم بطيئة بسبب إصابتهم ، ويمكننا أن نذهب لاستدعاء غيرهم من الواحة بأجر مضاعف لننتهى من هذا العمل سريعاً .

زمجر (تشارلز) فى غضب متفجر :

ـ صه أيها الغبى .. فلا وقت لدينا للضياع .

فحدّق فيه (ايفان) بغضب كظيم ، ، وكأنه يمنى نفسه برد كل تلك الإهانات بعد أن يحصل على نصيبه من الذهب ، وغمغم (مايكل) قائلاً (لتشارلز) :

ـ لماذا لا نساعدهم فى الحفر لنختصر الوقت ؟ أجابه الإنجليزى ساخراً :

ـ سترى الآن لماذا لن نفعل ذلك .. وما كاد ينهى عبارته حتى دوى انفجار شديد ، وطار أحد رجال الطوارق فى الهواء ممزقاً بعد أن انفجر فيه أحد الألغام المخفاة تحت الرمال ، وأوشك زملاؤه على

الهرب ؛ ولكن فوهة مدفع (تشارلز) الرشاش أعادتهم إلى عملهم فى رعب .

واستدار (تشارلز) إلى زميليه فى صوت مُخيف قائلاً :

- هل عرفتما السبب الذى يمنعنا من المشاركة فى الحفر .. لقد قام أبى بتلغيم المكان حتى ينفجر فيمن يحاول البحث عن الذهب !

وفى اللحظة التالية دوى انفجار ثان وسقط طارقى آخر قتيلاً !

كان الأمر أشبه بمذبحة بعد أن قُتل اثنين آخرين منهم ؛ ولكن الحفر استمر بالرغم من ذلك طوال النهار . وأخيراً .. صرخ أحد رجال الطوارق فى فرحة عندما تكشف تحت معوله نفق عريض مظلم يمتد إلى ما تحت الجبل . وأسرع (تشارلز) ، (ومايكل) ، و (ايفان) نحو الفتحة العريضة .. وصرخ الروسى فى سعادة :

- لقد عثرنا على النفق المؤدى إلى الذهب أخيراً .

فصاح (تشارلز) فيه مزمجراً :

- صه أيها الغبى .. وإلا سمعك هؤلاء الرجال ، فنجد كل سكان الواحة أمامنا قبل أن تمر الساعة .. فهم يظنون أننا لا نبحث إلا عن البترول

وعلينا التخلص منهم حالما يستخرجون الكنز من مكانه حتى لا يثرثر احدهم بشىء ما عن حقيقة سرنا .

صاح (ايفان) فى تلهف :

- دعنى إذن استكشف المكان .. وأكون أول من يلمس الكنز بيديه .

لمعت نظرة غامضة فى عينى (تشارلز) وأجابه :

- سوف أترك لك هذا الشرف يا عزيزى .. فقد كنت ادخره لك من البداية .

فاندفع (ايفان) نحو فتحة النفق بجسده الضخم ، وخطا إلى الداخل وقلبه يتراقص سروراً .. وما كاد يغيب داخل ظلام المكان حتى دوى صوت شىء ثقيل يرتطم بالأرض .. اتبعته صرخة رهيبة .

وصاح (مايكل) :

- يبدو أن حجراً ضخماً سقط فوق (ايفان) .. أو ربما إنهار النفق فوقه .

واندفع إلى داخل النفق .. وعاد بعد دقيقتين وهو يجر (ايفان) من ذراعيه ، وقد تدلت ساق الروسى اليمنى محطمة مشوهة وصاحبها يصرخ فى ألم قاتل .

كان مشهد الساق المهشمة مقززاً ؛ حتى إن (مايكل) أبعد عينيه عنها وهو يقول :

- لقد سقطت صخرة ضخمة فوق ساق (ايفان) ولولا انه أزاح نفسه بعيداً عنها اثناء سقوطه لسحقت رأسه تحتها لا ساقه فقط !

صرخ (ايفان) بصوت رهيب :

- إن الألم لا يُطاق .. اذهبوا بى إلى أقرب مستشفى .

فصاح به (تشارلز) فى حنق :

- صه أيها الغبى .. فإن أقرب مستشفى على مسافة الف كيلو متر .. والأفضل لك أن تتحمل الألم إلى أن ننتهى من عملنا .

جزّ (ايفان) على أسنانه وهو يقول :

- إنه ألم قاتل .. لا أستطيع تحمله و ...

قاطعه (تشارلز) فى كراهية واضحة :

لسوف أساعدك على التغلب على ذلك الألم .. أيها الوغد ..

وفاجاه بضربة قاسية فوق رأسه من مؤخرة مدفعه الرشاش .. فانهار الروسى على الأرض دون حراك .

وغمغم (تشارلز) فى احتقار وهو يرمق (ايفان) الممدد على الأرض دون حراك :

- إنه بهذا لن يصدعنا عن آلامه القذرة !

فرمقه (ايفان) بنظرة ذئبية . وتبادل الاثنان النظرات الوحشية .

وتساءل (مايكل) فى مكر :

هل تظن أنه سيعيش ؟

فسأله (تشارلز) بدوره فى مكر اشد :

- ما رأيك أنت ؟

لعق (مايكل) شفتيه كذئب وهو يقول فى صوت كالعواء :

- إن القسمة على اثنين أفضل من ثلاثة .. وهو لن يتمتع بالثروة بساق صناعية .. هذا إن عاش ليجد من يتبر له الأخرى المحطمة . كما اننى لم أرتح لهذا الوغد أبداً .. ولن يسعدنى أكثر من إرساله إلى الجحيم فقد عشت عمرى كله أكره الروس .

تلاعبت ابتسامة قاسية باردة فوق شفتى (تشارلز) وهو يقول :

- هذه هى مشاعرى أيضا نحو هذا الوغد .. ويمكنك أن تتصرف معه بالطريقة التى تراها ملاءمة .. فإن هناك عملاً أهم لدىّ .

واتجه (تشارلز) إلى قلب النفق ليكون أول من تمس يده الذهب .. ومن الخارج سمع صوت طلقة

رصاص وحيدة .. ولم يكن من شك فى أن (مايكل) قد تخلص بها من (ايفان) بتصويبة محكمة فى الرأس !

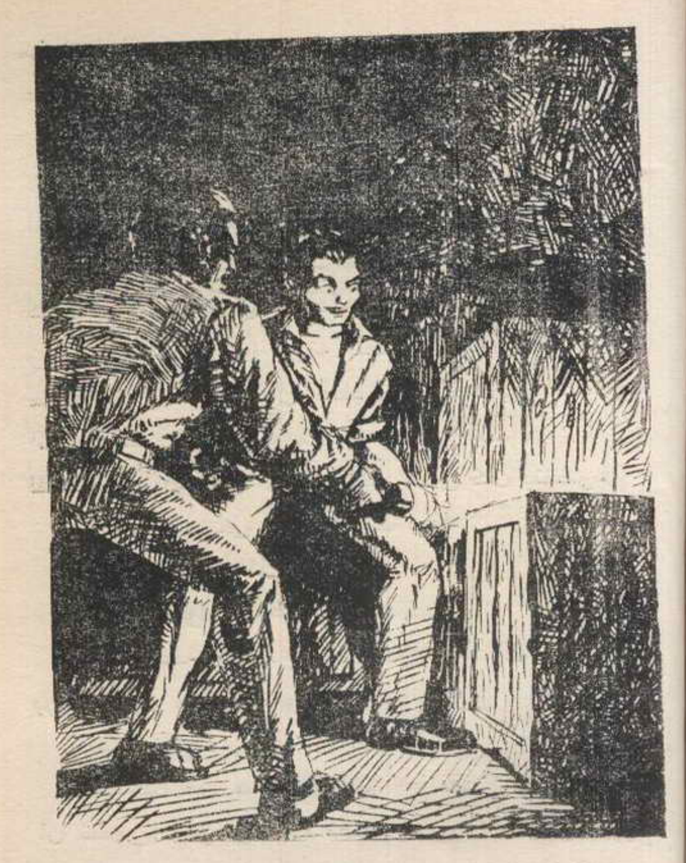
كان الممر يمتد بطول مائة متر .. وينتهى بحجرة عريضة امتلأت بصناديق خشبية متوسطة الحجم .. أخذ (تشارلز) يتحسسها بعينين ملتمعتين غير مصدق .. ثم صرخ بفرحة : الذهب .. لقد عثرنا عليه أخيراً .. نصف مليار جنيه كاملة ذهباً .. وجاوبه من الخلف صراخ (مايكل) الذى أوشك منظر صناديق الذهب أن تسلب عقله ، فأخذ يحتضنها ويقبّلها .. وهشم غطاء أحد الصناديق .. والتقط عدداً من سبائك الذهب الصفراء اللامعة وأخذ يحتضنها ويُقبّلها فى جنون ٠

غمغم (تشارلز) :

ـ لا وقت لدينا للضياع .. وعلينا نقل الذهب إلى الخارج بسرعة ٠

وألقى نظرة إلى ساعته الفوسفورية وواصل قائلاً :

سوف تصل بعد ساعة الشاحنة الضخمة التى ستنقل الذهب إلى العاصمة (تونس) .. لتجد هناك



أخذ (تشارلز) يتحسس صناديق الذهب بعينين ملتمعتين غير مصدق ، ثم صرخ : الذهب .. لقد عثرنا عليه أخيراً ٠

سفينتنا التى تنتظرنا على الشاطىء بعيداً عن عيون الفضوليين ، وخفر السواحل .

هتف (مايكل) فى سرور وحشى :

ـ هيا بنا .. ستكفى الساعة بالكاد لينقل أولئك الطوارقيين الصناديق إلى الخارج .

ولكن وفى الخارج كانت هناك مفاجأة بانتظارهم . كان جسد (ايفان) ممدداً بلا حراك ، وقد اخترقت رصاصة (مايكل) عينه اليسرى فبدأ شكله رهيباً مفزعاً .. أما رجال الطوارق المصابين فانتهزوا الفرصة للهرب بأسرع ما تستطيع أقدامهم حملهم للنجاة بحياتهم من المصير المؤلم الذى كان ينتظرهم .

وصاح (مايكل) فى غضب حاد :

ـ لقد هرب أولئك الأوغاد :

وتلفت حوله فى غضب أشد قائلاً :

ـ أى لعنة تحيط بنا . أشعر أن هناك كائنا خفيا يراقبنا من مكان ما ويتلهى بما جرى لنا .

أجابه (تشارلز) فى صرامة :

ـ دعك من هذه الأوهام .. فقد أوشكت مهمتنا أن تنتهى ، وعلينا أن نعتمد على أنفسنا فى إخراج صناديق الذهب من مخبأها .

واندفع الاثنان يسابقان الزمن .. واكتملت الساعة

عند الغروب .. وقد أتم الاثنان مهمتهما ، فارتميا أمام الصناديق التى جاوزت المائة ، وهما يلهثان بشدة .

وظهرت على البعد تحت آخر ضوء لأشعة الشمس الغاربة شاحنة كبيرة يقودها أحد رجال الطوارق ، ومساعده الملثمين ، اللذان لم يطرحا الكثير من الأسئلة ؛ بل حملا صناديق الذهب إلى داخل الشاحنة فى سرعة ونشاط ، وقد بدا أن النقود الكثيرة التى حصلا عليها قد ألجمت لسانيهما ، وعندما حل الظلام على المكان كانت كل صناديق الذهب قد استقرت مكانها داخل الشاحنة ..

وهتف (مايكل) فى (تشارلز) :

ـ هيا بنا نغادر هذا المكان بسرعة ، فنصل إلى (تونس) قبل الفجر .

ولكن (تشارلز) أجابه فى غموض :

ـ اذهب أنت .. وسألحق بك بالهليكوبتر .

تساءل (مايكل) فى دهشة :

ـ أى هليكوبتر ! ؟

أجابه (تشارلز) ويده تعبث فى جيبه :

ـ ستأتى هليكوبتر لتنقلنى إلى ميناء (تونس) ..

وستجدنى فى انتظارك هناك داخل سفينتنا ، فمن الأفضل ألا نعود داخل الشاحنة سويا حتى لا يشك أحد فينا .

غمغم (مايكل) فى ارتياب : ولكنك لم تخبرنى عن تلك الهليوكبتر من قبل ؟

اجابه (تشارلز) مراوغاً :

ـ لعلنى نسيت !

وضاقت عيناه وهو يستطرد : هل ترى فى الأمر ما يقلقك وقد تركت الذهب كله لك لتعود به ! ؟

ازدرد (مايكل) لعابه ، وبدا أنه يفكر فى الأمر بطريقته الخاصة ، وغمغم قائلاً : أنت على حق ، فالذهب كله معى .. وليس علىّ أن أقلق ابداً .

وقفز إلى مقعد قيادة الشاحنة وانطلق بها ، وقد أضاء مصابيحها الأمامية لتكشف الطريق أمامه .. واختفت الشاحنة بعد دقائق قليلة فى قلب الظلام .. والقى (تشارلز) نظرة دهاء على ساعته الفوسفورية ، وغمغم فى صوت يقطر كراهية :

ـ اقسم أن هذا الألمانى يفكر فى هذه اللحظة بالهرب بالذهب كله بعد أن منحته تلك الفرصة .. وكان أبى على حق فى قوله بألا أثق بألمانى قط ،

وأعتقد أن هذا الوغد يستحق ما سيجرى له بعد لحظات !

وظلت عيناه معلقتين بعقارب ساعته الفوسفورية إلى أن أشارت للتاسعة تماماً .. وفى اللحظة التالية .. دوى انفجار رهيب على البعد ، واندفعت كرة لهب من مكان الشاحنة التى تحمل الذهب لتشق عنان السماء ، وتحيل ظلام الليل إلى ضوء مشتعل ، وغمغم (تشارلز) وهو يراقب كرة اللهب بعينين أشد وميضاً :

ـ لقد ذهب ذلك الألمانى الوغد إلى الجحيم ، وانفجرت القنبلة التى زرعتها داخل الشاحنة فى موعدها بالضبط !

وأطلق ضحكة عالية ساخرة ، وهو يضيف بلهجة وحشية :

ـ لقد انخدع هذا الأحمق بالذهب الزائف .. والآن .. فلم يعد أمامى سوى استخراج الكنز الحقيقى الذى صار ملكاً لى وحدى .. ولن يشاركنى فيه أحد بعد الآن .. فقد كانت خطة رائعة للاستعانة بهذين القذرين ، ثم التخلص منهما فى بساطة لا مزيد عليها !

واندفع (تشارلز) إلى داخل فتحة النفق

وقد اشعل بطارية يدوية .. وبلغ الحجرة التى تسد نهاية النفق .. وأخذ يتلمس الحائط حتى عثر على حجر بارز فى الركن الأيسر ، فضغط عليه بقوة ، فدار الحجر حول نفسه ، وتحرك الجدار الصخرى كاشفاً عن حُجرة ضيقة خلفه .. وسلط (تشارلز) ضوء بطاريته اليدوية نحو الحجرة الضيقة ، فسقط الضوء على عشرة صناديق كبيرة مصنوعة من الرصاص الثقيل .. فالتمعت عينا (تشارلز) بجشع وصرخ :

ـ الكنز .. لقد عثرت على الكنز أخيراً وصار ملكاً لى وحدى .

ولكن صوت سُعال خفيف جاء من الخلف بتر عبارته ، وجعل الكلمات تتجمد فوق شفتيه .. واستدار (تشارلز) ، وقد صوب ضوء بطاريته على القادم .. واتسعت عيناه ذهولاً وكأنه يشاهد جثة تخرج من قبرها .. أو حيوان من ما قبل التاريخ ، وقد دبت فيه الحياة فجأة !

وغمغم (تشارلز) فى صوت يحمل أكبر قدر من الذهول المطبق :

ـ أنت .. ولكن هذا مستحيل .. إنك رجل ميت فكيف عدت إلى الحياة مرة أخرى !؟

* * *

الفصل السادس

عودة رجل ميت !؟

أطلق قطيع الذئاب عواءً مخيفاً تردد صداه فى المكان .. وشعت عيونها ببريق كاللهب الخاطف . كان مجموعها يزيد عن عشرة تجمعت حول الجسد المسجى أمامها بلا حراك ، وكعادتها تقدم زعيمها ليكون أول من يتمتع بالوليمة الشهية .. وانشب الذئب أنيابه ، ومخالبه فى الساق المهشمة التى تجمدت الدماء فوقها ، وأخذ ينهشها فى وحشية .

وارتعشت اليد المسجاة إلى جوار القدم المهشمة .. واختلج جفنا صاحب الجسد الممدد فوق الرمال .. كانما تسرى فيه الحياة مرة أخرى .

وبدا على (ايفان) كانه يستيقظ من كابوس رهيب .. ُخيل له أنه ُسحقت فيه ساقه سحقاً ، وأطلق شخص ما الرصاص على عينه .. والعجيب أنه كان يحس بالم قاتل فى ساقه ، وعينه اليسرى .

وعندما انشب الذئب أنيابه ، ومخالبه فى الساق المهشمة مرة أخرى . أطلق (ايفان) صرخة ألم رهيبة ، واستيقظ من إغمائه الطويلة ، وألم قاتل يداهمه .. واذهله مشهد الذئب الذى انشب أنيابه فى ساقه وبقية الذئاب التى أوشكت على الانقضاض عليه .

ودون تفكير التقط (ايفان) مسدسه من حزامه ، وصوبه نحو زعيم الذئاب وأطلقه .. فأطلق الذئب بدوره عواءً ُمريعاً .. وسقط فوق الرمال فى النزع الأخير فى حين أسرعت بقية الذئاب هاربة ، وقد أفزعها صوت إطلاق الرصاص .

وارتعد (ايفان) عندما وقعت عينه السليمة على ساقه المهشمة .. واكتشف فى اللحظة ذاتها .. أنه ينظر للأشياء بعين واحدة .. أما الأخرى فكان يأتيه منها الم قاتل ، ومد يده يتحسس عينه اليسرى .. وصرخ جزعاً .. عندما مست أصابعه التجويف المخيف بداخلها ، وادرك أن رصاصة ما اخترقتها ،

ولولا حسن حظه لاستقرت فى مخه ؛ ولكنها انحرفت لتخرج من صدغه صانعة فتحة مخيفة هشمت عظام وجنته ، وتركته مشوهاً بنصف وجه !

ولم يكن (ايفان) فى حاجة ليستنتج من فعل به ذلك ، وتركه وحيداً فريسة للذئاب المتوحشة فى قلب الصحراء .. ليمتع بنصيبه من الذهب ، وغادر المكان بلا عودة !

وأوشك (ايفان) على الصراخ ألماً ويأساً لما جرى له ، عندما رنت فى ُأذنيه أصوات كلمات مبهمة تاتيه من قلب فتحة النفق أمامه .. وفى الحال استرد الروسى رغبته فى الحياة ، واندلع لهيب الانتقام معربداً فى صدره بعد أن ميّز صاحبها .

وقبضت أصابعه على مسدسه فى وحشية .. وتحامل للنهوض فوق ساقه المهشمة ، وشرع فى التقدم نحو النفق فى حذر ، وهو يعض نواجذه لشدة ألمه .

وبالداخل كانت المفاجاة قاسية لضابط المخابرات الإنجليزى ، وهو يحدق فى (القناص) غير مصدق أنه لا يزال على قيد الحياة ، وقال بصوت يرتعد ذهولاً للمفاجأة :

— لقد تاكد رجالى من ابتلاع الرمال المتحركة لك ، فكيف نجوت منها ؟

أجاب (مراد) ، وابتسامة ساخرة تتلاعب فوق شفتيه :

ـ لم يخطىء رجالك فى ظنهم موتى .. فقد كنت أقرب إلى الموت عندما غصت فى بركة الرمال المتحركة ، وأوشكت على اليأس من النجاة لولا معرفتى بأن تلك الرمال المتحركة تتكون بفعل تشبع الرمال بالمياه .. وكان لدىّ كتاب منحه صديق لى بداخله خرائط مفصلة لأنفاق المياه داخل الواحة .. ومنها ما يصب فى تلك البركة ، وكان إحداها على مقربة من مكان سقوطى ، فشرعت على الفور فى البحث عنه وعثرت عليه سريعاً ، فاسرعت إلى داخل ذلك النفق المائى الذى لا يحتل الماء سوى نصف ارتفاعه ؛ وبذلك حصلت على الهواء النقى ، وسرت داخل النفق إلى أن غادرته داخل الواحة فى قلب الخان ، فتسللت إلى حجرتى رغماً عن مطاردتى ممن يظنون أننى قتلت صاحب الخان ، وشرعت فى تبديل ملابسى ، لأظهر فى أطيب صورة عندما الاقى زمرة الأوغاد وها أنت ترانى قد عدت فى أتم صحة !

غمغم (تشارلز) فى ذهول مطبق :

ـ ولكن كيف حددت مكاننا فى قلب الصحراء ؟

اجابه (مراد) فى سخرية ممتزجة بقسوة بالغة :

ـ كان هذا سهلاً جداً .. فامس مساء عندما تصافحنا ، واتفقنا على التعامل كجنتلمان ، ادركت للوهلة الأولى أنك ستخون اتفاقنا ، فعمدت فى الظلام إلى الدوران ، والعودة إلى سيارتكم الجيب التى تحمل البارود ، والصقت بمؤخرتها جهاز إرسال الكترونى صغير ، ليحدد لى المكان الذى تتجه إليه السيارة .. وبالطبع كان لدىّ جهاز صغير لاستقبال نبضات جهاز الإرسال ، وبهذا حددت مكان الجيب بسهولة وأمكننى الاهتداء إلى مكانكم فى قلب الصحراء الواسعة .

جزّ (تشارلز) على أسنانه وهو يقول :

ـ دعنى أخمن الباقى .. فأنت الذى نسف سيارة الديناميت ؛ ولكن كيف فعلتها دون أن تطلق عليها رصاصة واحدة ! ؟

تلاعبت ابتسامة ساخرة على وجه (مراد) وهو يقول :

ـ إننى عادة لا أميل إلى إطلاق الرصاص هباء أيها الوغد .. وكانت تكفى مرآة صغيرة مجمعة لأشعة الشمس من مكانى القريب الخفى أسلطها على أحد أصابع الديناميت ، فاشتعل وأدى الغرض المطلوب بالضبط !

عض (تشارلز) على شفته السفلى ألماً وقهراً وقال :

- يا لك من ثعلب ماكر .. فلم تكن لك حاجة لنسف سيارة الديناميت ؛ ولكنك فعلت ذلك لتشتت انتباهنا وتتسلى بإثارة الذعر بيننا .

قال (مراد) فى حزن :

- كان ذلك ممتعاً حقاً ، ولكن المؤسف أن بعضاً من أعوانكم من رجال الطوارق قد دفعوا ثمن ذلك غالياً برصاصاتكم القاتلة ، وقد عاملتوهم كما لو كانوا قطيعاً من الذئاب يتعين التخلص منها ، وأننى أعترف لك بالبراعة أيها الوغد الإنجليزى ، فقد كنت تعلم بأمر ذلك الحجر الضخم الذى سينهار على أول من يدخل النفق ، فتركت ذلك الروسى السفاح يتقدم لتتخلص منه .. وعندما نجا من الحجر الضخم تحالفت مع ذلك الوغد الألمانى للتخلص منه .. وبعدها أرسلت ذلك الألمانى إلى الجحيم مع الذهب المزيف .

غمغم (تشارلز) فى ذهول :

- أنت تعرف إذن أن الذهب كان زائفاً ؟

ضاقت عينا (القناص) الواسعتين ، وقال فى توكيد :

- كان علىّ استنتاج ذلك عندما شاهدتك تترك زميلك الألمانى يذهب به وحده ، فشخص مثلك لا يأتمن حتى أبيه على ثروة كهذه ، فكان علىّ توقع أن الذهب زائف ، وأن ذلك الوغد الألمانى المرتزق سيلاقى نهاية أسوأ من النهاية التى أرسل إليها بعض الأبرياء فى حروبه القذرة كمرتزق .

وأشار إلى الصناديق النحاسية الخمسة أمامه مواصلاً : وها قد صح ظنى .. فالكنز الحقيقى يرقد أمامنا فى انتظار من يعيده لصاحبه الحقيقى الذى كان يستحقه قبل نصف قرن .. إنها بلادى أيها الإنجليزى التى استولت بلادك على حقوقها .. ولكن دعنى أُخمن ما تحتويه تلك الصناديق .. هل هى الجواهر ، الماس والياقوت والزمرد .. أم إنها شىء اثمن !؟

ومضت عينا الضابط الإنجليزى ببريق وحشى قائلاً :

إنه الشىء الذى لم يخطر على بال إنسان ، ولا حتى ضباط مخابرات النازى قبل نصف قرن .. إن إن هذه الصناديق تحتوى على ...

قاطعه (القناص) فى هدوء قائلاً :

- إنه (اليورانيوم) أو (البلوتينيوم) .. أليس كذلك ؟

اتسعت عينا (تشارلز) ذهولاً وغمغم قائلاً :

- كيف عرفت ذلك ؟

تعقد حاجبا (مراد) وهو يجيبه :

- لقد منحتنى تلك الصناديق الرصاصية الثقيلة الإجابة .. فعادة لا أحد يستخدم هذه الصناديق إلا لنقل المواد المشعة ؛ ولكن ما يدهشنى أن المخابرات الإنجليزية كانت تمتلك كل تلك الكمية من اليورانيوم المشع فى ذلك الوقت .

تلاعبت ابتسامة ساخرة فوق شفتى (تشارلز) ، وهو يقول :

- دعنى أُخبرك بالسبب الذى أخفاه الإنجليز عن العالم كله ، فقد كانوا ينوون صنع عشرات من القنابل الذرية ليستخدموها فى الهجوم على قوات النازى وحلفائهم بعد أن توصلوا إلى أسرار الانشطار النووى قبل الأمريكان ، وإن لم يعلنوا ذلك ؛ ولذلك استخرجوا هذا الراديوم المشع ، وأرسلوه إلى (مصر) لبناء مفاعل ذرى سرى فى صحرائها ثم يفاجئوا الألمان بقنابلهم الذرية ؛ ولكن هجوم الألمان حال دون ذلك ، وخشت مخابراتنا أن تسقط صناديق

اليورانيوم فى يد الألمان ، وينكشف الأمر كله فقاموا بتهريبه تحت ستار الذهب الزائف ، فهذه الكمية من اليورانيوم كافية لصنع عشرات القنابل الذرية ، وكل جرام منها يساوى أكثر من خمسمائة دولار !

بدت فى عينى (مراد) دهشة لم يستطع كتمانها . كان الأمر مفاجأة له بالفعل وقال فى بطء :

- يا لها من خدعة .. إننى أعترف للمخابرات الإنجليزية بالبراعة حقاً ، وأنها تستحق لقب المخادع الأكبر ، فما كانت ستمنح بلادى شيئاً ، واستغلت تلك القصة عن الذهب الزائف ببراعة لا نظير لها ولحسن الحظ أن تلك الصناديق أفلتت من يد ضباطكم ، فمن يدرى ماذا كنتم ستصنعون بها .. وكم قنبلة ستستخدمونها لإبادة أعدائكم بلا رحمة .. وان كانت الولايات المتحدة قد سبقتم فى ذلك بصنع القنبلة الذرية ، وإلقائها على (نجازاكى) ، و (هيروشيما) فأخرجت اليابانيين من الحرب واشعلت فتيل الصراع النووى .

دق (تشارلز) الأرض فى عنف ، وغضب قائلاً :

- تباً لهؤلاء الأمريكان فهم نهازون للفرص .. وهم

يظنون أنهم انقذونا بقنابلهم من الهزيمة ، وهم لا يدرون الحقيقة .

اشار (مراد) بيده لينهى الحديث الطويل قائلاً :

ـ لقد انتهت اللعبة الآن و ..

ولم يتم عبارته ، فقد علا صوت من مدخل النفق يقول فى لهجة وحشية : إن اللعبة لم تنته .. وقد جئت لأضع اللمسة الأخيرة فيها !

استدار (القناص) وقد أخذته المفاجاة .. وعلى مسافة أمتار قليلة شاهد رجل المخابرات الروسى (ايفان) بساقه المهشمة ، وعينه المفقودة وقد تغطى بالدماء ، وبدا منظره مشوهاً مثيراً للرجفة فى الأبدان ، وقد وقف فى مدخل النفق شاهراً مسدساً فى وجهى غريميه .

وغمغم (تشارلز) فى ذهول للروسى :

ـ انت لا تزال حيا أيضاً .. مستحيل ! ؟

أطلق (ايفان) ضحكة وحشية ممتزجة بالم رهيب ، وهو يقول لغريمه :

ـ لقد عدت من الجحيم لاسدد انتقامى كاملاً لك أيها الوغد .. فقد عرفت كيف تستخدمنا ببراعة

لتصل إلى كنزك ، ثم تتخلص منا فى النهاية .. ولكنك أغفلت شيئاً هاماً .. وهو أنه ليس من السهل التخلص منى .. فإن لى جمجمة ثقيلة .. أثقل مما تظن أيها الوغد ، وقد حان أوان تهشيم جمجمتك برصاصة أخيرة .. ستجعل مخك القذر يتناثر فى كل مكان .

وصوب (ايفان) مسدسه إلى (تشارلز) ؛ ولكن رجل المخابرات الإنجليزى كان أسرع فى حركته .. والتقط مسدسه وأطلقه نحو الروسى قبل أن يستخدم الأخير مسدسه ـ وأصابت الرصاصة هدفها فى صدر (ايفان) الذى ترنح ، وقد جحظت عينه السليمة .. وضغط أصبعه فوق زناد مسدسه .. فاصابت الرصاصة السقف ، وانهارت كتلة ضخمة من الصخور فوقه وسحقته تماماً !

وصوب (تشارلز) مسدسه نحو (القناص) وأطلقه ؛ ولكن (مراد) قفز جانباً فاستقرت الرصاصة فى الجدار الصخرى خلفه ، وفى حركة خاطفة جذب (تشارلز) حلقة حديدية بارزة إلى جواره .. وفى اللحظة التالية .. تحرك الحائط خلف (القناص) ، ودار بسرعة حول نفسه ودفعه

إلى داخل زنزانة صخرية ضيقة ، وكانت الحركة من المباغتة بحيث إنها أخذت (مراد) على غرة !

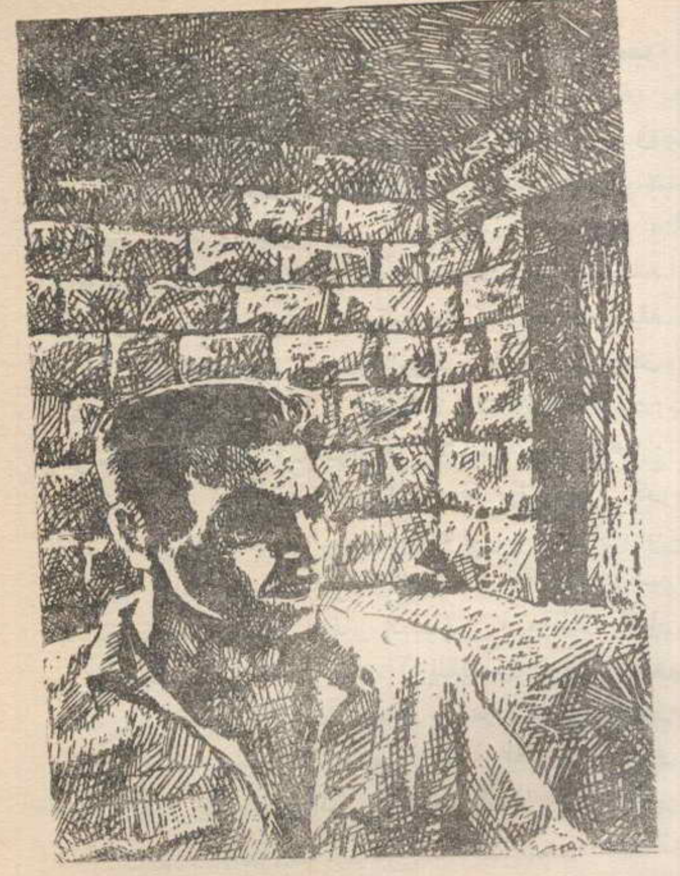
وتخلص منه (تشارلز) بخدعة أخرى تفوق بها بفضل معرفته بأسرار المكان !

ولكن (مراد) استعاد زمامه سريعاً ، وحاول دفع الصخور بقوة . ولكن دون جدوى ، فقد كان المكان أشبه بزنزانة رهيبة منحوتة فى الصخر .

أطلق (تشارلز) ضحكة ساخرة عالية من مكانه ، وصرخ بأعلى صوته لتصل كلماته إلى (القناص) :

ـ ما رأيك فى هذه الخدعة الأخيرة ؟! إننى أعترف لك بالبراعة أيها المصرى ؛ ولكن المهم من يضحك أخيراً ، وبعد نصف ساعة فقط سألحق بطائرتى الهليكوبتر بعيداً مع كنز (البلوتينيوم) ولن تحصل عليه بلادك أبداً .. أما أنت فستكون حسن الحظ لو مت جوعاً وعطشاً قبل أن تموت مختنقاً لقلة الأكسجين فى زنزانتك الضيقة .

وأطلق (تشارلز) ضحكة عالية تردد صداها فى المكان . ثم ساد الصمت الثقيل ، وأدرك (القناص) أن رجل المخابرات الإنجليزى شرع فى نقل الصناديق خارج النفق .. واشتعل غضب (مراد) . كان



حاول (القناص) دفع الصخور بقوة دون جدوى . فقد كان المكان أشبه بزنزانة رهيبة منحوتة فى الصخر .

عليه مغادرة الزنزانة بأى ثمن ، ومنع ذلك الوغد من الاستيلاء على الصناديق ٠

ادرك (القناص) أن عليه مسابقة الزمن فى ذلك ، فكل ثانية تمر عليه تعنى هروب (تشارلز) بصناديق (البلوتينيوم) ٠٠ وانشب (القناص) أظافره فى الصخر بلا فائدة ٠٠ فتأكد أن استخدام القوة لن يجدى ٠٠ وانصت بقوة ٠٠ كان المكان حوله حالك الظلام ويستحيل الرؤية خلاله ؛ ولكن أذنيه كانتا قادرتين على التقاط أخفت الأصوات ٠٠ وحواسه الأخرى فى قمة توترها ونشاطها وتركيزها ٠

خُيّل له أنه يسمع صوتاً ضعيفاً يأتى من ركن الزنزانة ٠ كان صوت حيوان قارض ٠٠ فار ٠٠ ربما ٠٠ وامتدت أصابع (القناص) فى حركة مباغتة فقبضت على الفار الصغير ، وأطلق الفار صوتاً حاداً مستغيثا ؛ ولكن (القناص) ربت فوق رأسه قائلاً : لا داع للانزعاج يا عزيزى ٠٠ فليس مطلوباً منك سوى أن تدلنى على الطريق الذى دخلت منه إلى الزنزانة ، فإننى أذكر جيداً أننى كنت وحيداً عندما أطبقت جدرانها علىّ ولم يكن بداخلها ضيف آخر ولو من الفئران !

وأطلق (مراد) الفار برفق ، فسمع صوت صياحه

المبتهج وهو يُسرع نحو أحد أركان الزنزانة ، ويمر عبر نفق ضئيل فيها ، ومد (القناص) يده يتحسس فتحة خروج الفأر فى الظلام ٠٠ كانت فتحة ضيقة لا تتسع لغير قبضته ؛ ولكن الأرض حولها كانت هشة بتأثير المياه المتسربة إليها من أنفاق مجارى مياه الواحة ٠٠ وكان على (القناص) العمل فى الحال ، فاخذ يحفر بيديه فى الفتحة الضيقة ، ويقوم بتوسيعها ٠٠ وأخذت الفتحة تتسع له شيئاً فشيأ ٠٠ حتى صارت كافية لمروره ٠

وقفز (مراد) داخلها ٠٠ ولكن الفتحة كانت من الداخل ضيقة كذلك ، فواصل الحفر بأصابعه التى أدمتها الرمال والصخور المفتتة ٠٠ وأخيراً ٠٠ تكشفت له نهاية النفق وضوء السماء البعيد بعد أكثر من نصف ساعة ، والتقطت أذنا (القناص) صوتاً يأتيه عبر الفتحة الضيقة ٠٠ صوت مراوح طائرة هليكوبتر تستعد للإقلاع ٠ كان الطير يوشك أن يفر بغنيمته ٠٠ واندفع (مراد) زاحفاً فى النفق الضيق ٠٠ وقفز إلى الخارج فى اللحظة التى شاهد فيها الهليكوبتر وهى تعلو بقائدها الملثم ، إلى جواره (تشارلز) ، وقد استقرت صناديق (اليورانيوم) فى الخلف ٠

قفز (القناص) بكل قوته محاولاً التعلق بحاجز الطائرة السفلى .. ولكن الطائرة ارتفعت أكثر فى اللحظة نفسها فطاشت قفزة (مراد) وأطبق كفاه على الفراغ ، وشاهده (تشارلز) من مكانه فأطلق ضحكة عالية .. والتقط مسدسه وأطلق عدة طلقات سريعة صوب (القناص) ؛ ولكن (مراد) القى بنفسه بعيداً ليحتمى من طلقات الرصاص بصخرة كبيرة .. والتقط مسدسه بدوره وصوبه نحو الهليكوبتر .

كانت لديه رصاصة وحيدة فى مسدسه وكان عليه استخدامها جيداً .. وأطلق (القناص) رصاصته الأخيرة نحو خزان وقود الطائرة .. واستقرت الرصاصة فى خزان الطائرة التى واصلت ارتفاعها السريع دون تأثير !

ووقف (القناص) مكانه ، وهو يشاهد الهليكوبتر تبتعد وتبتعد حتى اختفت عن عينيه تماماً .. وتطلع (مراد) حوله وهو يشعر بمرارة الهزيمة مُرة كالعلقم فوق شفتيه .. برغم كل ما فعله فقد افلت (تشارلز) بصيده الثمين ، ولم يكن هناك ثمة أمل فى استعادة (القناص) لصناديق

(البلوتينيوم) المشع مرة أخرى .. ونكس (مراد) رأسه وإحساس مرير بالفشل يطوقه .

كانت المرة الأولى التى يداهمه فيها ذلك الإحساس القاتل ؛ بل كانت المرة الثانية .. أما الأولى فكانت يوم مقتل (حازم شريف) دون أن يستطيع انقاذه من الموت .

لقد تكرر الفشل مرتين ؛ ولكنه تلك المرة كان أقسى وأشد ألما .. مثل جرح غائر فى القلب .

كان فشله متعلقاً هذه المرة بوطنه الغالى .. (مصر) .

وما أقساه فشل !

* * *

الفصل السابع

المفاجأة الأخيرة

اطلق (تشارلز) ضحكة صاخبة عالية ذات رنين قوى .. ضحكة لا تتناسب مع برودة الإنجليزى التقليدى ، وخبط قبضته اليمنى بكف يده اليسرى قائلاً بعينين تشعان بهجة :

لقد فزت أخيراً بالكنز .. بعد كل تلك السنين صار الكنز لى وحدى .. وما أن أصل إلى بلادى حتى أصير من أصحاب الملايين .. بل من أصحاب المليارات وسأجد طابوراً من المشترين المتنافسين للحصول على كنزى الثمين .

واطلق (تشارلز) ضحكة أخرى حتى دمعت عيناه ، وواصل محدثاً نفسه :

ـ وقد خدعت الجميع وأرسلتهم إلى الجحيم ..

ولحسن الحظ أن استعاد أبى ذاكرته قبل وفاته بقليل فدوّن سر كنزه فى مذكراته الخاصة .. ولولا حُسن الحظ ما عثرت عليها منذ شهور قليلة مصادفة لأفوز بكل شىء بعد أن تخلصت من شريكىّ الغبيين ، وكل من اعترض طريقى .

ورمق (تشارلز) طياره الخاص ، وغمغم لنفسه :

ـ لم يبق من شاهد على ما جرى سـوى ذلك الطوارقى الغبى الذى ينتظر مكافاة ضخمة على خدماته .. ولسوف أكافئه بالفعل متى نصل إلى يختى الخاص الرابض فى المياه الدولية على مسافة كيلو مترات قليلة من الشاطىء التونسى .. فأريحه من متاعب العالم كله بطلقة فى الرأس !

ولكن الطيار استدار إلى (تشارلز) ، وقد عكست عيناه جزعه الشديد ، وهتف فى توتر بالغ :

ـ إن وقود الطائرة يتناقص بسرعة .

غمغم (تشارلز) ذاهلاً :

ـ ماذا تقول أيها الأحمق ؟

أجابه الطيار فى رعب :

ـ إن الوقود يتسرب من الخزان وسيفرغ بعد نصف ساعة أو أقل .

ارتجف الإنجليزى وهو يقول :

ـ لابد أن رصاصة ذلك المصرى أصابته .. ذلك الوغد .. إنه لم يشأ أن يتركنى أرحل قبل أن يضع توقيعه الأخير !

وجزّ على أسنانه بغضب حاد ، وهـو يقول للطيار :

ـ ما العمل الآن ؟

أجابه الطيار فى أمل :

ـ ليس أمامنا غير الهبوط فى أقرب مدينة لإصلاح خزان الطائرة ، وملئه بالوقود .

استعاد (تشارلز) رباطة جاشه وهـو يقول :

ـ وما هى أقرب مدينة إلينا ؟

أجابه الطيار : إنها واحة صغيرة .. تُدعى (بيرست فاطمة) ولحسن الحظ أنها تعتبر مهبطاً لطائرات شركات البترول ، وسنجد بُغيتنا فيها دون شـك .

غمغم (تشارلز) فى غضب :

ـ تباً لتلك الواحات .. أما لها من نهاية ؟ !

وضغط بأصابعه فى عنف فوق كتف الطيار قائلاً :

ـ أسرع بنا إليها .. فلابد من إصلاح الخزان ومواصلة الطيران فى أسرع وقت قبل أن يكتشف شخص ما حقيقة ما جرى .

قبل أن تمر ثلاثون دقيقة كان الوقود قد أوشك على النفاذ ، وظهرت واحة (بيرست فاطمة) باسفل غارقة فى الظلام والسكون ، وحطت الهليكوبتر أمام مدخل الواحة ، وقد نفذ وقودها تماماً .. وقفز (تشارلز) إلى الأرض واندفع نحو عدد من الرجال الملثمين ، وصاح فيهم بعربية متكسرة :

ـ هل يوجد أحد هنا متخصص فى لحامات المعادن ؟

فاجابه أحدهم :

ـ هناك شخص يُدعى (محيسن) يسكن فى منزل بأطراف الواحة .

هتف (تشارلز) فى لهفة :

ـ إذن خدنى إليه .

وأتبع (تشارلز) قوله بحفنة من الذهب ألقاها أمام الرجل الملثم الذى التمعت عيناه ، وفعل فيه الذهب فعله ، فقفز واقفاً وهتف فى محدثه :

ـ اتبعنى بسرعة .

وانطلق الاثنان راكضين إلى منزل من طابق واحد ، وطرق الملثم بابه بقوة صائحاً :

ـ محيسن .. إن هناك من يريدك .

ولكن النداء لم يأت برد من الداخل ..

وصاح (تشارلز) فى غضب :

ـ إننى لن انتظر الليل كله لإيقاظ هذا الأحمق من نومه !

ودفع الباب بقدمه فى عنف فهشمهم تحت قدمه الثقيلة .. واندفع (تشارلز) إلى الداخل ؛ ولكن المنزل كان خالياً من صاحبه ، فقال الطورقى (لتشارلز) :

ـ لابد أن (محيسن) ذهب لزيارة خطيبته التى تسكن واحة بعيدة ، ولن يعود قبل ساعات عند الفجر .

فغمغم (تشارلز) فى غضب :

ـ يالالحظ السيىء الليلة .. ولكن ليس أمامى سوى الانتظار .

ومرت الساعات فى بطء .. والضابط الإنجليزى يتلظى على الجمر وهو يحدق فى الطريق بعينين متقدتين .. وأخيراً .. لاح شخص ملثم قادم فوق ناقته تجاه المنزل ، فصاح الطوارقى بسرور :

- إنه (محيسن) .. لقد عاد .

فاندفع (تشارلز) نحوه ، وأظهر قبضة أخرى من الذهب فى يده ، وهو يقول له :

- إننا فى حاجة لجهدك فى إصلاح ثقب بخزان وقود طائرتى .

التمعت عينا (محيسن) بشدة واختطف الذهب من يد (تشارلز) ، ودسه فى جيبه قائلاً :

إن هذا الذهب كاف لزواجى دون ان اضطر للعمل شهور طويلة .. ويبدو أننى محظوظ الليلة فانتظرنى قليلاً وسآتى بأدواتى وأتبعك حالاً .

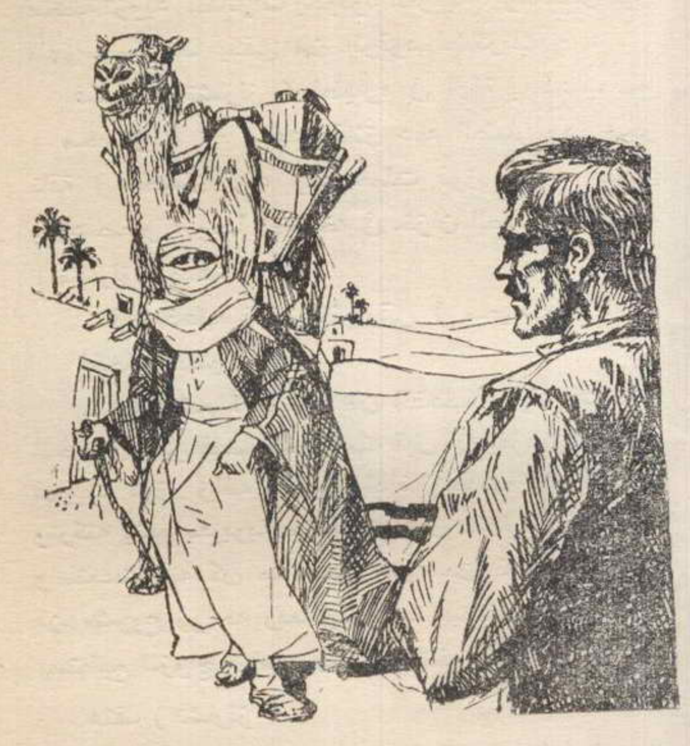
وقبل أن تمر خمس دقائق كان الطوارقى الملثم قد أتم عمله فى لحام خزان الوقود ، وفرك (تشارلز) كفيه فى ابتهاج قائلاً :

- لم يبق سوى تزويد الطائرة بالوقود .

وأبرز فى قبضته كمية أخرى من الذهب اختطفها (محيسن) بسرعة ، وأخفاها فى جيبه قائلاً :

بهذا سيمكننى إنجاب دستة من الأطفال ، بعد الزواج !

واستدار إلى (تشارلز) بعينين تومضان سروراً وهو يقول له :



بعد دقائق عاد الطيار وهو يجر ناقة (محيسن) وقد حملت فوق ظهرها خزان وقود صغير .

- ليس عليك سوى أن ترسل الطيار معى إلى محطة تزويد الطائرات بالوقود القريبة ، وسأحمل فوق ظهر جملى ما يكفى من الوقود لطائرتك ٠

فأشار (تشارلز) لطياره فى لهفة بالذهاب مع (محيسن) ٠٠ وبعد دقائق عاد الطيار وهو يجر ناقة (محيسن) ، وقد حملت فوق ظهرها خزان وقود صغير ، وبدأ فى ضخه فى خزان الطائرة ، فسأله (تشارلز) بدهشة :

- أين ذهب ذلك الطوارقى (محيسن) ؟

فأجابه الطيار :

- إنه جشع لا يرتوى من الذهب ، وقد اشترط الحصول على قبضة أخرى منه قبل أن يعود بالوقود ، فهويت فوق رأسه بأقرب أداة وجدتها بجوارى ، وتركته ينعم بغيبوبة مؤلمة لن يفيق منها قبل أيام ٠٠ واستعدت منه كل ما حصل عليه من ذهب ، وأظن أن مشروع زواجه ربما يلغى بسبب ذلك ، فهو لن يستطيع الزواج برأس مهشمة لا ينفع فيها أى اصلاح !

هتف (تشارلز) :

- رائع ٠٠ إنك تستحق هذا الذهب ، وسأمنحك عشرة أضعافه مكافأة ٠٠ والآن ٠٠ هيا بنا فلا وقت للضياع ٠

فى خلال دقائق ٠٠ كانت الهليكوبتر تحلق فى السماء ميممة وجهتها نحو الشمال ٠٠ وتمدد (تشارلز) فى مقعده وأغمض عينيه فى ارتياح وهو يقول للطيار :

- سأحصل على اغفاءة قصيرة ، وعليك بإيقاظى عند وصولنا إلى اليخت ٠

فأومأ الطيار برأسه ويده تداعب الذهب فى جيبه ٠

وأخيراً لاح الفجر ولونت اضواءه السماء السوداء بخيوط فضية لامعة فى صفحته ٠٠ وفتح (تشارلز) عينيه ، وتمطى بقوة ثم تطلع لأسفل ٠ كانت الصحراء ممتدة إلى ما لا نهاية ، فاستدار إلى الطيار فى دهشة قائلاً :

- ألم نصل إلى البحر بعد ؟

أجابه الطيار :

- سوف نصل خلال دقائق إلى محطتنا الأخيرة ٠٠ ولكنى آخذ طريقاً بعيداً عن الشاطىء لكى لا تكتشفنا قوات حرس السواحل ٠

فرك (تشارلز) كفيه فى ابتهاج قائلاً :

- رائع ٠٠ إنك تقوم بعملك جيداً أيها الطوارقى ٠

أجابه الطيار :

ـ هذا ما أظنه يا سيدى ، فإننى أؤدى عملى عادة كأكمل ما يكون !

كانت لهجة الطيار غريبة وغامضة .. وعيناه المتألقتان من خلف لثامه الذى يخفى وجهه بأكمله عدا عينيه ، تبدوان كما لو كانت تتصارع فيها أفكار غامضة ، وتساءل (تشارلز) فى قلق إن كان الطيار قد شك فى نواياه .. وأنه ينوى أن ينهى حياته بطلقة أخيرة فى مسدسه فاحتاط للأمر مبكراً ؟ !

ومست أصابع (تشارلز) مسدسه ، وقد جعله أقرب إليه إحتياطاً .

وأخيراً .. بدأت الطائرة فى الهبوط العمودى ، وألقى (تشارلز) نظرة لأسفل فاتسعت عيناه بدهشة بالغة .. لم يكن هناك أى شاطىء أو مياه قريبة ؛ بل كانت الطائرة تهبط فيما يشبه مطاراً حربيا ارتصّت فيه طائرات حربية عديدة من طرازات مختلفة !!

غمغم (تشارلز) فى ذهول طاغ :

ـ أين تهبط بطائرتك أيها الرجل ! ؟

أجابه الطيار بلهجة لا تخلو من سخرية :

ـ إنه مطار (الماظة) الحربى .

ردد (تشارلز) فى ذهول :

ـ مطار (الماظة) .. إنه مطار حربى مصرى .. فهل جننت أيها الطيار لتهبط فيه !؟

واختطف مسدسه من جيبه فى حركة مباغتة ، وصوبه إلى رأس الطيار قائلاً :

ـ عليك بالطيران بعيداً فوراً وإلا أفرغت رصاصاتى فى رأسك .

فأجابه الطيار فى سخرية قاسية :

ـ لن تجد أى رصاصة فى المسدس ، فقد أفرغته أثناء نومك !

حملق (تشارلز) فى الطيار ذاهلاً غير مصدق ، وضغط فوق زناد سلاحه .. ولكن المسدس أصدر تكة ولم يطلق أى رصاص .. وغمغم (تشارلز) فى ذهول أشد ، وهو يحدق فى عينى الطيار :

ـ من تكون أيها الرجل ، وما الذى تنوى أن تفعله ؟

والتمعت نظرة ماكرة فى عينى الطيار الملثم ، وخيّل (لتشارلز) أنه رأى مثل هاتين العينين فى مكان ما .. بل كان مؤكداً أنه رآهما من قبل .. وامتدت يد (تشارلز) لتزيح اللثام عن وجه الطيار بأصابع مرتعدة .. وشهق الإنجليزى شهقة أوشكت أن تنخلع معها روحه للوجه الذى طالعه فى صرامة ، وقسوة لا مزيد عليها .

وجه (القناص المحترف) !!
كانت تلك آخر مفاجاة توقعها (تشارلز) ·
كانت مفاجأة أخيرة بحق !!
وغمغم (تشارلز) فى جنون :
ـ هذا مستحيل ·· كيف فعلتها ؟
وأطبق بأصابعه فوق عنق (مراد) صارخاً فى وحشية : إننى سوف أقتلك أيها الثعلب الماكر و ··
ولم يتم (تشارلز) عبارته لسبب قاهر ·· فقد طارت قبضة (القناص) فى لكمة هائلة أودعها كل غضبه وكراهيته نحو ذلك الإنجليزى المخادع ·· ضربة لو أصابت حجراً لهشمته ·· ولو كان (تشارلز) حسن الحظ لتهشمت أسنانه فقط دون فكه ، ولأمكنه استعادة قدرته على النطق بعد عدة شهور !
وترنحت رأس (تشارلز) لشدة عنف الضربة ، وغامت عيناه ثم تهاوى أمام مقعده بلا حراك ·· وشرعت الهليكوبتر فى الهبوط ·· وبانتظاره بأسفل ·· كانت هناك فرقة كاملة من رجال المخابرات المصرية ، والصاعقة ·
وفى الواقع ·· لم يكن هناك مبرر لوجودهم · فقد قام (القناص) بالعمل على أكمل وجه ·· وفى اللحظة المناسبة ·· كعادته دائماً !

* * *

حرب الثعالب

كان من النادر أن ينفعل مدير المخابرات ·· أو تكشف ملامحه الصلبة عما يدور فى أعماقه ·· ولكن تلك اللحظة كانت من اللحظات النادرة بالفعل ··
وغمغم الرجل وكأنه لا يزال غير مصدق ما رآه بعينه :
ـ كل تلك الكمية من (البلوتينيوم) المخصب ·· وكنت أظن أننا نسعى وراء الذهب ؛ فإذا بنا نجد ما هو أثمن من الذهب !
فرك (فخرى) كفيه فى ابتهاج قائلاً :
ـ إن الإنجليز قوم مولعون بالأسرار ، والمفاجآت

دائماً .. ونحن نشكر لهم هذه الهدية التى ادخروها لنا رغماً عنهم كل هذه السنين .

أومأ مدير المخابرات برأسه وقال :

ـ أنت على حق يا (فخرى) .. وما أثمنها هدية ، ففى المهمة الماضية تمكن (القناص) من استعادة ميكروفيلم المفاعل النووى الذى أوشكنا على البدء فى إقامته للدخول ببلادنا إلى عصر الذرة بحق .. واليوم هبطت علينا من السماء ثروة من (البلوتينيوم) قادرة على تشغيل المفاعل لوقت طويل .

والتفت إلى (القناص) الذى جلس مستمعاً دون أن يتفوه بكلمة ، وبادره مدير المخابرات فى لهجة لا تخلو من دهشة وإعجاب :

ـ لقد كان عثورك على هذا الوقود النووى فى هذا الوقت بالذات .. ضربة حظ .. وأننى لأتعجب لماذا تتلاحق ضربات الحظ للمبدعين فى عملهم ؟!

أجابه (مراد) فى بساطة لا تخلو من اعتداد :

ـ ليست ضربة حظ يا سيدى ؛ بل هو توفيق من الله .

أومأ مدير المخابرات برأسه قائلاً :

ـ وهو أيضاً براعة منك أيها (القناص) فلا تحاول

التواضع .. فلو أننا عهدنا بهذه المهمة إلى فريق من أكفأ ضباط المخابرات القيام بما قمت به ربما لم يحققوا نفس النتيجة الرائعة .

واصل (القناص) بنفس اللهجة :

ـ كان يكفى أن أتذكر أننى أناضل فى سبيل وطنى يا سيدى .. فأخاطر بحياتى وأبذل قصارى جهدى .

تراجع مدير المخابرات بمقعده للوراء وتطلع إلى لوحة زيتية إلى يساره تمثل مشهداً للنيل ، والأهرامات وغمغم فى تأثر :

ـ صدقت أيها البطل ، فكلنا فداء للوطن .. وأننى باسم الوطن ، وجهاز المخابرات بأكمله أوجه لك الشكر .

تلاعبت ابتسامة صغيرة فوق شفتى السيد (فخرى) ، ونفض سيجاره فى المنفضة المذهبة أمامه ، وهو يقول :

ـ لو أنكما حضرتما تسليم ضابط المخابرات الإنجليزى (تشارلز) إلى رجال ادارته لرأيتم أعجب منظر لضابط مخابرات كبير ، وقد انهار تماماً وأخذ يبكى كطفل ، ويعض نواجزه قهراً وندماً بسبب المصير الذى ينتظره على أيدى رؤسائه ، وربما تكون نهايته الإعدام أو السجن المؤبد .

قال (القناص) فى لهجة صارمة :

ـ إنه يستحق ما سيجرى له ، فقد تسبب فى مصرع الكثيرين دون شفقة أو رحمة ، وعندما يخرج ضابط مخابرات عن الالتزام الوطنى ، ويرمى صالح بلاده خلف ظهره ، ويسعى لأجل مصلحته الذاتية حتى لو تعارضت مع صالح بلاده ، فإن عنقه المترنح تحت حبل المشنقة ، أو قصف رصاصات الإعدام لا تكفى لمحو عاره .

مرت لحظة صمت طويلة بعد كلمات (مراد) .. وتطلع مدير المخابرات إلى السيد (فخرى) فى تساؤل قائلاً :

ـ ولكنى أخشى أن تطالبنا المخابرات البريطانية بصناديق (البلوتينيوم) باعتبارها كانت ملكاً قبل نصف قرن لها .

أجابه (فخرى) فى ثقة :

ـ إنهم لن يفعلوا لأسباب عديدة .. أولها .. أن (تشارلز) سينكر وجود هذه الصناديق أساساً ، ولن يعترف بعثوره عليها حتى لا تتضاعف عقوبته لأنه تسبب بفعلته فى حصولنا عليها فى النهاية ، وفقد بلاده لها .. وحتى لو اعترف بالحقيقة فلست أظن أن الإنجليز سيطالبونا بها لأنهم بذلك سيكشفون عن

فشلهم فى سباق صنع القنبلة النووية فى الحرب العالمية الثانية .. فيعيدوا للأذهان تفوق الأمريكان عليهم فى هذا الصدد ، وهم لا يحبون عادة من يذكرهم بتفوق الآخرين عليهم !

وصمت لحظة قبل أن يضيف بابتسامة أعرض ، وأكثر دهاءً :

ـ وحتى إذا قام الإنجليز بمطالبتنا بهذه الصناديق فيمكننا أن نقول إنها مكافأة بلادنا على خدماتها لبلادهم فى الحرب العالمية الثانية .. ولست أشك فى أن هذا القول سيخرسهم تماماً .

هز مدير المخابرات رأسه فى تأكيد قائلاً :

ـ هذا هو ما كنت أفكر فيه تماماً يا (فخرى) .

والتفت إلى (القناص) بنفس الابتسامة التى كست ملامحه ، وقد شعت عيناه ببريق حاد من الإعجاب ، والفضول وهو يقول : إنك لم تخبرنى بعد أيها البطل .. كيف تمكنت من اللحاق بالهيلكوبتر بعد أن هرب (تشارلز) بها ، وتركك وحيداً فى قلب الصحراء ؟ وكيف أمكنك أن تحل مكان قائد طائرته الطوارقى ؟

اعتدل (القناص) فى جلسته ، وبدا كأنه يستعيد لحظة عزيزة عليه ، وقال فى صوت عميق :

– بعد أن شاهدت (تشارلز) يهرب بالهليكوبتر قررت نسف طائرته برصاصتى الأخيرة دون أن أخشى على صناديق (البلوتينيوم) بسبب سمك جدرانها الذى يصل لعدة سنتيمترات ٠٠ ولكن الرصاصة وإن لم تنسف خزان وقود الطائرة إلا أنها تسببت فى تسرب الوقود منها ٠٠ ولحظتها قمت بحساب معدل تسرب الوقودمن خزان وقود الطائرة ، فقدرت أنه سيستغرق نصف ساعة على الأكثر ٠٠ وكان من الطبيعى أن ادرك أن الطيار سيلاحظ ذلك ، وسيبادر بالهبوط فى أقرب مدينة أو واحـة يمكنه فيها الحصول عـلى وقود وإصلاح الخزان المثقوب ٠

وتعقد حاجبا (القناص) ، ومستمعاه يصغيان إليه بإهتمام بالغ ، وأضاف قائلاً :

– كنت أعرف أن أقرب واحة تتميز بتلك الصفات هى (بيرست فاطمة) على مسافة حوالى مائـة وخمسين كيلو متراً ، ومنحنى هذا الخاطر أملاً جديداً فقررت أن أسرع بجوادى الذى احضرته من (غدامس) إلى (بيرست فاطمة) مهما كـانت المشقة ٠٠ وهناك على حدود الواحة اسعدنى الحظ بمفاجأة لم تكن فى الحسبان ٠

غمغم (فخرى) بعينين متالقتين بالسرور :

– لم تكن هذه المفاجأة سوى (محيسن) ٠٠ اليس كذلك ؟

أوما (القناص) برأسه مجيباً :

– هذا صحيح ٠٠ فعندما تعرفت عليه تاكدت أن الله (العلى القدير) كان إلى جوارى فى مهمتى ، فأبعد (محيسن) عن الواحة لكى لا يعثر عليه (تشارلز) فيصلح له خزان الوقود ويهرب بطائرته قبل أن ألحق بها ٠٠ وبقليل من المال اقنعت (محيسن) أن أحل محله ٠٠ وساعدنى اللثام فى إخفاء ملامح وجهى فلم يتعرف علىّ (تشارلز) بسبب الظلام ٠

وصمت لحظة قبل أن يضيف :

وتعمدت بعدها أن يذهب معى قائد الهليكوبتر لجلب الوقود من محطة الوقود وكان سهلاً علىّ إرساله إلى غيبوبة طويلة بضربة رأس زلزلته ، ثم ارتديت ملابسه ولثامه ، وحللت مكانه ، ولم يكتشف (تشارلز) الخدعة إلا فى النهاية ، وبعد بلوغنا مطار (الماظة) ٠

غمغم مـــدير المخـابرات فى دهشـة ممزوجـة بالإعجاب :

– يا لها من قصة تصلح أن تكون فيلماً مثيراً !

احتسى (فخرى) بقية فنجانه مرة واحدة قائلاً :

ـ لست أشك أن شخصاً ما سيحول كل مغامرات (القناص) ، وقصص بطولاته إلى أفلام تحتوى من الإثارة والمغامرات ما تنحبس معه أنفاس المشاهدين إلى النهاية ·

هز مدير المخابرات رأسه نافياً وهو يقول :

ـ ولكنهم لن يصدقوا أحداثها بأى حال ·

تساءل (فخرى) ببعض الدهشة :

ـ ولماذا يا سيدى ؟

أجابه المدير بلهجة إعزاز :

ـ لأنهم لم يتخيلوا أبداً وجود شخص (كالقناص) فى هذا العالم قادر على القيام بمثل هذه المهام الإعجازية ، وقهر كل الأخطار مهما كانت ·

ورمق مدير المخابرات (القناص) بإعجاب تجلى فوق قسماته ·

وكان يكفى (القناص) فخراً ما قاله مدير المخابرات عنه ·

كانت تلك هى أعظم شهادة نالها ·

ولحسن الحظ ·· إنه لم يكن ممن يدير رءوسهم المديح ، أو يصيبهم بالغرور ·

ذلك لأنه لم يكن كالآخرين أبداً ·

فقد كان بطلاً وحيداً متفرداً ·

كان ·· (القناص) !

ولم يكن له شبيه قط !!

* * *

المهمة القادمة

عملية باروخ



المعركة الأخيرة

- صـــراع رهيب يدور فى قلب الصحراء الكبرى .
- مرة أخرى تندلع حمم الحرب العالمية الثانية بعد نصف قرن من انتهـائهـا .. من حيث لم يتوقع أحد .
- ثلاث أجهـزة مخابرات كبرى تتصارع فى المعركة الأخيرة .. حيث لا مصير للمهزوم سوى الفناء .. فى المعركة الأخيرة .
- ترى مـــا ســـر ذلك الصـــراع الدموى فى الصحراء الكبرى .. ولمـــاذا قـــرر القناص خـــوض الصراع .. حتى النهاية ؟



القاهرة : ١٠ شارع بستان الدكة من ش الألفى (مطابع سجل العرب) ت : ٩٣٢٧٠٦ - ص.ب . ١٣١٥ العتبة ١١٥١١
الجيزة : ١ شـــارع ســوهاج من شـــارع الزقـــازيق - خلـف قاعـــة ســـيد درويش بالهـــرم